

المقطف

الجزء الاول من المجلد العاشر بعد المئة

١٧ صفر سنة ١٣٦٦

١٠ يناير سنة ١٩٤٧

النساطرة في أسيا

اشتهرت مدينة « أنطاكية » بأنها من أولى مدن المسيحية التي قام زعماء الدين فيها بأول حركة من تلك الحركات الفكرية التي كانت ذات أثر كبير في شيوع الفلسفة ، وفروع الفلسفة اليونانية خاصة . ذلك بعد مناظرات لاهوتية طويلة ممضّة . وقام بالحركة في « أنطاكية » معلمان يقال لأحدهما « ديودوروس » ^(١) والآخر « تيودوروس » ^(٢) المصّصي ، وكانا شديدي الاعتقاد في اكتمال الناصوتية في المسيح عليه السلام . وكان أكبر المؤيدين لهذا المذهب راهب من رهبان أنطاكية يقال له « نسطوريوس » ^(٣) انتقل إلى القسطنطينية أسقفاً لها في سنة ٤٢٨ م ، وتبع تأييد « نسطوريوس » لهذه الفكرة

(١) Diodorus (٢) Theodorus of Mopsues'a (٣) Nestor and the Nestorians نسطور بطريرك القسطنطينية من ٤٢٨ الى ٤٣١ م . أسقطه مجمع أفسوس متبهماً بالهرطقة ، وتوفي في سنة ٤٣٩ م . والنساطرة أتباعه ، وقد انكروا اتحاد طبيعتين في شخص المسيح ، وقالوا بأنه شخصيتين منفصلتين ، وإن اتحاد تينك الشخصيتين معنوي محض . وبعد مجمع أفسوس أسس النساطرة مدارس الرها ونصيبين وسلوقية ، ثم طردوا بمقتضى ارادات امبراطورية الى بلاد فارس ، حيث استقروا ونشروا تعاليمهم ، ومن ثمت انحدروا الى الهند ثم الى الصين . وحوالي سنة ١٤٠٠ م اضطهدهم تيمورلنك المنولي ، فهدمت مدارسهم وزالت معالمها ، وفي القرن السادس عشر اندمجت بقيتهم في الكتلة الرومانية

منافشات حادة حتى انتهى الأمر بعقد مجلس ديني في مدينة « أفسوس » سنة ٤٣١ م ،
فانتصر حزب الاسكندرية ، وهو الحزب القائل بما يضاد الذهب النسطوري ، واعتبر
« نسطوريوس » وأتباعه هراطقة ^(١) .

أما النساطرة فكانوا على اعتقاد كامل في أن نظراءهم بعيدون عن حكم العقل والضرورات
الطبيعية . لذلك سعوا ، بعد مضي طامين على حكم مجلس « أفسوس » الى جمع ثملهم ، وعلى
الرغم من مطاردتهم والإستبعاد بهم ، نزلوا مصر واتخذوها مقراً لبيت تعاليمهم .

قبيل ذلك العهد أغلقت مدرسة نصيبين ^(٢) ، أو بالأحرى انتقلت إلى الرها ^(٣) ، وفي
سنة ٣٦٣ م ، قامت مدينة نصيبين إلى الفرس تنفيذاً للمعاهدة التي عقدت إثر الحرب التي
أشعل نارها الامبراطور « يوليانوس » ^(٤) ، وكان رجال مدرستها منتشرين في الممالك
المسيحية إذ ذاك ، فعادوا الى التجمّع في الرها ، وفتحوا مدرسة سنة ٣٧٣ م ، وبذلك
أصبحت تلك المدينة ، ولو أنها في أرض تابعة للامبراطورية البوزنطية ^(٥) ، مركزاً للكنيسة
التي ينطق زعماءها باللسان السرياني .
أصبحت مدرسة « الرها » بعد ذلك موطناً لأفراد من زعماء النساطرة الذين تقبلوا

(١) Heretics : يونانية معربة ، ومع المارقون من الدين ، والمهرطقة : المروق

(٢) نصيبين : Nisibis : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام
(معجم البلدان ٢٩٢ : ٨) وكانت تدعى أيضاً « انطيوخية موغدونية » : Antiochia Mygdonia
في العصر القديم . وهي عاصمة إقليم موغدونية : Mygdonia في ما بين النهرين ، وفي بقعة من أخصب
بقاع العراق . وكان من أكبر البلدان التجارية ، فضلاً عن موقعها الحربي العظيم (Classical
Dictionary : 605 606)

(٣) الرها (بضم الراء) : Edessa : وكانت تدعى في العصر القديم « انطيوخيا قليروغوية »
Antiochia Callirrhoe مدينة من أقدم المدن في شمال الجزيرة ، وكانت عاصمة إقليم أوسرونية Osroëne ،
وبجوار الرها قتل الامبراطور قرقلا سنة ٢١٧ م . (Classical Dictionary p. 308) واسمها بالرومية
أذاسيا ، والنسبة اليها رهاوي . بُنيت في السنة السادسة من موت الاسكندر بناها الملك سلوقس (معجم
البلدان ٣٤٠ : ٤) ، (٤) Julian (٥) The Byzantine Empire

حكم مجلس « أفسوس » . غير أن الامبراطور « زينون » ^(١) أغلق تلك المدرسة في سنة ٤٣٩ م ، بحجة أن صبغتها نسطورية متطرفة ، فلم يجد أهلها من موئل سوى الهجرة الى البلاد الفارسية ، فهاجروا ومعهم كبيرهم « بارسوما » ^(٢) سنة ٤٥٧ م .
 نجح « بارسوما » في أن يقنع فيروز ^(٣) ملك الفرس بأن النساطرة يوالون أبناء فارس ويمضون خاضعين لقوانينهم ، وظلوا على عهدهم هذا كافرين في كل الحروب التي وقعت من بعد ذلك . ثم أسس النساطرة مدرسة أخرى في نصيبين فأصبحت بورة تشع منها التعاليم النسطورية ، تلك التعاليم التي كوّنت وجهاً من أوجه المسيحية مصبوغاً بالصبغة الشرقية البحتة .

ومن ثمت انتشرت النساطرة في جوف آسيا وبلاد العرب ، يذيعون تعاليم المسيحية ، ولم يكونوا عاملين على نشر المسيحية لا غير ، بل أرادوا أن ينشروا معها تعاليمهم الخاصة في طبيعة المسيح ، فأخذوا يستعينون على بث أفكارهم بأقوال ومذاهب متنوعة من الفلسفة اليونانية ، فأصبح كل مبشر نسطوري بحكم الضرورة معلماً في الفلسفة اليونانية ، كما أنه مبشر بالدين المسيحي ^(٤) .

كان السبب الذي حفز النسطوريين إلى نشاطهم هذا ، نشاط أبدأه نظراؤهم القائلون بالطبيعة الواحدة ، وندعومهم الوحديطبعيةيون ^(٥) (في المسيحية) والوحديطبعي ^(٦) هو أحد القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة ، ومعنى أشمل واحد من طائفة نصرانية يعتنق فكرة أنه ليس للمسيح غير طبيعة واحدة متحدة أو مندلجة ، جزأ منها قدسي (إلهي)

(١) Zeno : امبراطور بوزنطي (٤٧٤ — ٤٩١ م) وكان ، ايزورياً Isaurian بالولد وهو ابن زوجة الامبراطور ليون الاول . وقد اشتهر في التاريخ بأنه قمع عدة ثورات ؟ وهو الذي أغرى ثيودوريك Theodoric أحد ملوك القوط الشرقيين بأن يغزو إيطاليا ، وكذلك أعلن الانوطيئون Henoticon ، وهي معاهدة تقام عقدت بين زينون و ثيودوريك ، على ان يترك هذا مناوأة الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وينقض على « أودوسر » فيملك منه ايطاليا (١) بارسوما Barsuma : أسقف نصيبين في ما بين النهرين (٤٣٥ — ٤٨٩ م) وهو المؤسس الأكبر للكنيسة النسطورية في شرقي آسيا (موسوعة منشوري ص ١٢٤) . (٣) Piruz (٤) راجع كتابنا تاريخ الفكر العربي (١٩٢٨)

وجزء من -ا بشرى ، على العكس من المعتقد الارثوذكسي ، القائل بأنه بالتمجيد نشأت طبيعتان كل منهما مستقلة عن الأخرى ، القدسية والبشرية ، اتحدتا من غير أن تختلطا أو تطفئ إحداها على الأخرى في شخص المسيح .

ولقد انقسم الوحديطببعيون أقساماً وتفرقوا شيعاً . ومن أقدم هذه الشيع شيعه « الأوتوخيين » ^(١) أتباع أوتوخس ^(٢) الذي اتهمه المجمع الخلقيدوني ^(٣) في سنة ٤٥١ م وتنحصر تعاليمهم في القول بأن المسيح ليس له غير طبيعة واحدة هي الطبيعة القدسية (الالهية) . أما الوحديطببعيون الأصلاء ، فيقولون بأن الطبيعة القدسية والطبيعة البشرية ، إندجتا في المسيح فصارتا واحدة .

إن أوائل القائلين بهذا المذهب ، ومؤسسوا الكنيسة القبطية في مصر هم ديوسقورس ^(٤) الذي اتهمه مجلس خلقيدونية (ومات سنة ٤٥٤ م) وطيموثي أو طموثيوس أينلوروس ^(٥) (الملقب بالهرّ) الذي صار بطريركاً في سنة ٤٥٧ م . وكان سقثروس (سويرس) ^(٦) أعظم رجال هذا المذهب حوالى سنة ٥٢٠ م . في حين كانت طائفة أخرى منهم تدعى اليوليانية . ^(٧) وانتشر الوحديطببعيون في سوريا انتشاراً واسعاً في خلال القرن السادس وممّوا اليعاقبة نسبة إلى يعقوب بارادايوس ^(٨) (وهو يعقوب السروجي) أسقف الرها (٥٤١ - ٥٧٨ م) ، وقد انقسم الوحديطببعيون أكثر من ثلاثين فرقة :

إن كان « نسطوريوس » قد اتهم أمام الكنيسة ، وصدر حكم مجلس « أفسوس » عليه فإنه ترك الكنيسة أمام مشكلة من مشاكلها العظمى ، التي ظلت تعمل في رؤوس الناس زماناً ،

(١) Eutychians (٢) Eutyches (٣) Chalcedonian Council (٤) Dioscorus (٥) Timothy Aelurus

(٦) Severus (٧) Julians (٨) يعقوب بارادايوس : Jacob Baradaeus وهو يعقوب السروجي
Jacob Siruge : مؤسس شيعه اليعاقبة النصرية انتشرت في سوريا وما بين النهرين وغيرها ، وهي فرع من المذهب الوحديطبعي ، ونسبت هذه الشيعه اليه ، وهو سوري الاصل رسم اسقفاً للرها حوالى سنة ٥٤١ م ، ورأس هذه الكنيسة يدعى بطريرك انطاكية

حتى انتهت المناقشات الشيعية بمجمع عقد في سنة ٤٤٨ م بمدينة «خلفيدونية»^(١) وكانت نتيجته أن أخرجت فئة أخرى من الكنيسة الرئيسة ، هم فئة المعتقدين بالطبيعة الواحدة في المسيح . اضطهدت امبراطورية بوزنطية الشيعة اليهقوبية . ولكن أعضائها لم يخرجوا عن حدود الامبراطورية ، بل ظلوا في داخلها قسماً مستقلاً بصورة خاصة من أصحاب الطبيعة الواحدة (الوحديطبسيون) ، وأرسلوا طائفة منهم في خارج الامبراطورية تبث تعاليمهم . على أن هؤلاء قد اتبعوا نفس الطريقة التي اتبعها النساطرة في ترك لغة نظرائهم في الدين ، وعمدوا الى استعمال اللغة القبطية واللغة السريانية . وفي الحق أن عصر اللغة السريانية الذهبي لا يبدأ إلاّ برجوع اليعاقبة عن استعمال اللغة اللاتينية ، الى اللغة السريانية .

إذا تأملنا من النتائج التي ترتبت على خروج النساطرة واليعاقبة ، استطعنا أن نفهم لماذا ترجمت أعمال الفلاسفة اليونان إلى اللغة السريانية . بينما نجد أن الحركة النسطورية قد أصبحت بالتدريج الوسط الذي تركزت فيه ثمار التثقيف اليوناني ، وانتشرت في آسيا عبر حدود الامبراطورية البوزنطية في خلال بضعة القرون التي تقدمت انتشار الاسلام .

إذن فالمذهب النسطوري قد انتشر في فجاج آسيا ، ولكن إلى أي مدى كان انتشاره ، وإلى أي حد بلغ أثره ؟ مما يدل دلالة قاطعة على ذبوع المذهب النسطوري في آسيا وعظم انتشاره واستفاضة تعاليمه في هذه القارة ، ما ننقله هنا عن كتاب « النصرانية في الصين »^(٢) تأليف « هوك » ، وكتاب « الديانات العشر العظام » تأليف « كلارك »^(٣) ، واليك هو :

(١) لم تذكر المدينة في معجم البلدان وإنما ذكر ما يأتي :

« الخلفدونة ويروى الخندقونة : هو الصقع الذي منه المصيصة وطرسوس وقد ذكر في موضع قبل هذا ، وهو في الاقليم السادس حول خمسون درجة وعرضه سبع وأربعون درجة (٤٥٨ : ٣) وفي معجم الاعلام القديمة : خلفيدونية : مدينة إغريقية في بيثونيا : Bithynia على شاطئ فروبونتس Propontis عند مدخل البوسفور ، وتواجه تقريباً مدينة بوزنطية ، أسستها جالية هبطت ذلك المكان من ميغارا Megara سنة ٦٨٥ ق . م . ولأنها تقع في مكان أقل شأناً من المكان الذي تقوم فيه بوزنطية ، سمعها الكهنة « مدينة العميان » انظر اسطرابون ص ٣٢٠ ، وحوليات طاقيطوس ج ١٢ ص ٦٣) ، وبعد أن ظلت زمناً مدينة مستقلة ، سقطت تحت سلطة ملوك بيثونيا الذين نقلوا معظم أهلها الى مدينة نيقوميديا : Nicomedia الجديدة (سنة ١٤٠ ق . م .) وأعاد الرومان تحصينها ، وجعلوها المدينة الاولى في ولاية بيثونيا أي فونطيا فريما : Pontica Prima كما سموا هذه الولاية ، وقد سماها الانترك محواً .

Ten Great Religions : James Freeman Charke (٣) Christianity in China : Huc (٢)

« في سنة ١٦٢٥ كان جماعة من العمال الصينيين يعملون في حفر جدار لاقامة بيت في خارج أسوار مدينة « سي - نجاو - فو » Si - Ngau - Fou ، عاصمة مقاطعة « تشن - سي » ، Chen - Si ، فعثروا على حجر تذكاري يشبه تلك الأحجار التي اعتاد الصينيون أن يقيموها لتتنقل الى الاخلاف تذكارات أحداث كبار أو ذكريات عن عطاء الرجال . والحجر عبارة عن لوح من الرخام الأسود ، تبلغ مساحته عشر أقدام طولاً في خمس عرضاً ، وعلى صفحة منه نقش بالصينية القديمة ، مع بعض حروف غير معروفة في الصين . »

« وعنى « اليسوعيون » الذين رأوا هذا الحجر بأخذ نقول منه أرسلوها الى أوربّا . وقد أودع واحد من هذه النقول بمكتبة البيت اليسوعي في روما العظمى ، حيث كان محط الأنظار وسبباً في اجتلاب الزوّار . وبعد ذلك بقليل أخذت نسخة بمقياس اللوح نفسه وأرسلت الى باريس وأودعت المكتبة العامة بشارع ريشليو ، وربما رُتبت الى الآن في متحف المخطوطات . »

« هذا الأثر الذي استكشف في أنقاض منسية في ضواحي عاصمة قديمة من عواصم الامبراطورية الصينية ، قد أثار عاصفة من العجب . فإنه عند ما بحث وعولجت نقوشه لمعرفة معانيها ، ظهر مع العجب أن الديانة النصرانية كان لها في الصين رسل كثيرون في بداية القرن السابع الميلادي ، وانها ظلت مزدهرة هنالك زماناً طويلاً . أما الحروف الغريبة غير المعروفة في الصين ، فقد اتضح أنها من تلك التي كان يستعملها سكان سوريا القدماء ، وتعرف باسم الخط الاسترانيجيلي^(١) : *estrangeños* وقد يعثر بها في مخطوطات سريانية تتقدم القرن الثامن الميلادي . وهذه ترجمة ما نقش في هذا اللوح : —

« تذكّار الانتشار الأعظم للعقيدة النورانية في الامبراطورية الوسطى ، ألفه « كهنج

(١) وفي الموسوعة البريطانية ج ١ ص ٦٨٤ (٤) ما يلي : استعمل نصارى سوريا الشمالية نوعاً من الالفبائية العربية تدعى باسم استرانيجيلي Estrangelos ، وهذه تملأ مبشرو النسطوريين الى آسيا الوسطى ، فالتحذت هنالك أصلاً لعدد عظيم من الالفبائيات التي انتشرت حتى اقليم منشوريا ، وجاء في الجزء ٢٢ من هذه الموسوعة :

Documents have also been found in Estrangelo (two forms) , Brahmin , and even Tibetan. p. 618; 22 a.

— تسنج : Khing-Tsing ، زاهد معبد « تا - تسن » : Ta : Thsin

١ — « يوجد على الدوام سبب واحد حقيقي، هو الأول ولا بداية له، فائق العلم، غير مادي، وهو الآخر، وفيه تنحصر كل الكمالات. هو الذي أقام قطبي السماء، وخلق كل الموجودات قدسي كلي القداسة، كما هو منبع الكمال هذا الموجود الباهر، أليس هو الثالث : Triune الملك الحق الأبدي : أولوهو » (١).

« قسم الدنيا بصليب أربعة أقسام. وبعد أن حلل الهواء الأول (الأصلي) خلق العنصرين. نظم السماء، ومن ثمت ظهرت الشمس والقمر. وجعل الشمس والقمر يدوران ليكون الليل والنهار. هو جبال الأشياء التي عدتها عشرة آلاف وكمالها. ولكنه عندما خلق الإنسان الأول زوده بألقة نقية تامة، وأوصاه بأن يرعى ذلك البحر اللحي الذي يغمره من الشهوات. وكانت طبيعته خلو من الرذيلة ومن الخطأ. أما قلبه، وكان بسيطاً نقياً، فقد كان في المبدأ خالصاً من النزوات الموهشة ».

٢ — « غير أن » سا - تسنج : Sa-Thang روح الأكاذيب، ولوث بحبه ما كان نقياً قدسياً. أعلن وأكد أن ما يعلن هو الحق، مبدأ التساوي في العظمة، فاستطاع أن يقلب الأفكار جميعاً. ومن هذا نشأ خمس وستون وثلاثمائة شيعه، (٢) حاولت كل منها الأخرى في سلسلة طويلة، وحاكت، على حد ما يقال، شبكة من الشرائع، وضع بعضها المخلوق محل الباقي، وأنكر بعضها وجود المخلوقات وهدمت المبدأين معاً (٣) وشرع بعضها الصلوات والقرايين ليحصلوا على الخير. وتظاهر البعض بالزهد ليخدعوا الناس، وراحت عقول الناس تعمل في جهد جاهد وملاًها الريب والقلق. وانقطع التطلمع إلى الخير الأسمى، وظلوا هائمين من غير أن يحصلوا على شيء وانحدروا من شيء إلى أسوأ منه. واشتد الظلام وغلظ، وعميت بصيرة الناس، فضوا يهيمون على وجوههم، عاجزين عن استرداد ما فاتهم (٤).

٣ — هنالك امداً إلهنا الثالثي بمجوهرة الأقدس، السيد « مي - شي - هو »

(١) الله (٢) هذا يمدد أيام السنة ولعل المقصود بالشيوع هنا طقوس دينية تدور مع أيام السنة، لكل يوم طقسه الخاص (٣) لعل المقصود مبدأ الخلق ومبدأ الخالق. (٤) لعل في ذلك وصفاً لحالة الخلق قبل خلاص الإنسانية بصلب المسيح كالمعتقد النصراني

Mi-Chi-Ho (المسيح) ففشى على عظمته الحقيقية ، وظهر في الدنيا على صورة إنسان ، وفرح بذلك ملائكة السماء ، وولدت عذراء قديساً في « تا - ثسن » . ولقد هتفت لهذه المناسبة السعيدة كوكبات السماء العظمى . وشهد الفارسيون ذلك البهاء ، فسارعوا الى الطاعة والخضوع . ولقد تحقق بذلك ما بشر به الأربع والعشرون قديساً منذ أزمان بعيدة . ونظم بناموسه ووصاياه الأسر والممالك ، ووضع ديانتته على أساس الفكرة الصحيحة ، فكرة التثليث في الوحدة . وجعل الايمان الحق حاكماً للضمير . وأعطى الناس الوصايا الثمانية ، وظهر الإنسانية من دريئاتها بأن فتح الباب للفضائل الثلاث (١) .

« لقد نشر الحياة وقضى على الموت . وعلق الشمس المضيئة لتقضي على مقر الظلام ، فقضى بذلك على أكاذيب الشياطين . لقد وجهه سفينة الرحمة نحو حرم الضوء ، فنجى بذلك كل المخلوقات ذوات الذكاء والعقل . وبعد أن فرغ من هذا العمل الدال على القدرة ، ارتفع عند منتصف النهار ومضى نحو « الحق » . وخلف سبعة وعشرين كتاباً » .

« لقد أوسع ينابيع الرحمة ، حتى يؤمن الناس ويدخلوا في دينه . والتعميد بالماء وبالروح شريعة تطهر النفس وتجمل المظهر . وعلامة الصليب تجمع نواحي الدنيا الأربع ، وتعيد تلك الألفة التي ذهبت . فاذا قرعنا على قطعة من الخشب ، جعلنا صوت البر والرحمة تتجاذب أصداؤه . أمّا إذا قربنا قرباناً متجهين نحو الشرق ، فإننا بذلك نعرف طريق الحياة المنظمة » .

« يرسل رؤساؤنا لحام ، ليظهروا بذلك تفانيهم في سبيل خير انهم (٢) . أما اللاطئة (٣) التي يلبسونها على رؤوسهم ، فالملدالة على أنهم انصرفوا عن الحياة الدنيوية . ولأن تمنح العبد حريته ، فانك تصبغ حلقة الوصل بين القوي والضعيف . إننا لانجمع المال والغنى ، ونقسم مع الفقير ما نملك . والصوم يقوي القدرات العقلية ، والإباء عن الطعام والاعتدال ، يحفظان الصحة . تتعبّد سبع مرات كل يوم ، وبصلواتنا نساعد الأحياء والأموات . ونقرب قرباناً في اليوم السابع ، بعد أن تطهر قلوبنا وتلقى الحبل من معصياتنا . وهذه

(١) لعل المقصود بذلك روح التثليث (٢) يظهر ان ارسال الهي كان رمزاً على ذلك

(٣) شبه للنسوة صغيرة تلزم على جلدة الرأس : ويستنتج ان ارسال الهي وليس اللاتئة كانا مظهرين من مظاهر رهبانية هنالك ، ولها دلالة خاصة .

الديانة على كمالها وحسنها، من الصعب تسميتها، ولكنها تثير وتذهب الظلام بوصاياها .
إنها تدعى « الديانة اللاّمة » .

٥ - (١) العلم بغير قداسة لا عظمة فيه ، والقداصة بغير علم لا تحدث ارتقاء . وعندما يألف العلم مع القداسة ويسيران معاً ، فإن السكون يأخذ زخرفه ويأتاق .
« لقد جعل الامبراطور « تاي - تسونج » Tai - Tsoung ملكه الامبراطوري . لقد بدأ عهد الانقلاب ، وحكم الناس بقداسة . وكان في عهده رجل سامي الفضيلة يقال له أولوين » : Olopen جاء من مملكة « تا - ثسن » : Ta - Thsin ولقد هدته السحب الزرق فحمل إنجيل العقيدة الصحيحة ، واتبع أحكام الرياح ، فاستطاع أن يحترق مفاوز عصبية مدنيّة للحتوف .

« في العام التاسع من حكم « تشنج - كوان » : Tching-Kouan (٦٣٦) وصل الى « تشانج - نجان » : Tchang-ngan فأمر الامبراطور وزير الامبراطورية الاول ، وكان يدعى « فانج - هي - ون » : Fang - hi - wen - ling أن يذهب مصحوباً بعدد كبير من الاتباع الى الضاحية الغربية ، ليقابل ذلك الغريب ويحضره الى القصر . وقد ترجمت الاناجيل المقدسة في المكتبة الامبراطورية ، وتلقت الحاشية تلك العقيدة ، وتأملت منها ملياً ، وفهمت وحدة الحق العظمى ، وصدرت وثيقة خاصة تميز إذاعتها ونشرها .

« وفي السنة الثانية عشرة من حكم « تشنج - كوان » : Tching-Kouan وفي خلال القمر السابع منها ، حيث كان الخريف ، أذيعت الوثيقة مضمّنة ما يأتي :

« ليس لهذه العقيدة اسم خاص ، وليس للقدسية جوهر محدود ، إنها تنظّم ديانات توافق أئماً مختلفة ، وتحمل الناس على طريقتهما زمرّاً وذرافات . إن « أولوين » Olopen أحد « أهالي تا - ثسن » : Ta - Thsin وهو رجل سامي الفضيلة ، ويحمل الاناجيل والصور ، قد حضر ليقدمها إلينا في البلاط العالي . وبعد بحث لم يتجاوز مداه لحظة واحدة في روح هذه الديانة ، اتضح أنها حسنة دقيقة ترمي الى السلام ، وأن التأمل من مبدئها الاصيل

(١) لم يذكر الاصل رقم « ٤ » بين ٣ و ٥ ،

يُري أنها تولد الكمال وتركز الارادة . إنها مفيدة للناس ، فينبغي أن تنشر في كل مكان تظله السماء . ولهذا أمر الحكام أن يقيموا معبد « تا - تسن » في الناحية المسمّاة « تا - ننج » : Ta-ning من المدينة الامبراطورية ، وأن يخصص للخدمة فيه واحد وعشرون من رجال الدين .

١٠ - (١) إن « سو - تسونج » : Sou-Tsoug الامبراطور المستنير الذائع الصيت ، قد أقام في « لنج - أو » : Ling-ou وغيرها من البلاد ، بلغت في المجموع خمس ، معابد لائمه . وبذلك قويت شكيمة الخير الاول ، وازدهرت الهناءة . وأقيمت في بعض الأحيان قداسات فيها المهابة والوقار ، وخطت الامبراطورية في طريق فسيح من السعادة .

١١ - « إن تاي - تسونج » : Tai-Tsoug (٧٦٤) وهو امبراطور محارب مثقف قد استمر في تأييد هذا الانقلاب ، وجعل همه محصوراً في السلام والهدوء . وكان في كل سنة عند حلول ساعة الميلاد (عيد الميلاد) يحرق البخور ، السّمّاوي ، إحياء لذكرى الخير القدسي ، وقيم الولاثم الامبراطورية ليبارك الجمهور اللّامع (النصاري) .

٢١ - (٢) نصب هذا التذكار في السنة الثانية من حكم « كين - تشونج » : Kien-Tshoug أحد أفراد أسرة : « تانج » : Thang العظيمة (٧٨١ م) في اليوم السابع من ربيع القمر الثاني . وكان « ننج - شو » : Ning-Chou راعي هذه العقيدة ، رئيساً لأبناء الدين اللامع في مملكة الشرق .

هذه ترجمة الكتابة التي وجدت على الأثر الذي عثر به في « سي - نجياو - فو » سنة ١٦٢٥ م . وقد أجمع النقاد على أن في العبارات ما يدل على نزعة أسطورية أكيدة . والراجح أن الذين نشروا هذا المذهب في تلك الأصقاع ، جماعة من النساطرة عبروا دجلة والفرات ، ثم دخلوا خراسان ، ووصلوا امبراطورية الصين من مقاطعة « شنسي » : Chen-Si ولقد أثار هذا الكشف كثيراً من النقود والبحوث ، اشترك فيها « فواتير » وغيره من النقاد والكاتبين ، وقد نأتى على طرف منها في بحث آخر .

اسماعيل مظهر

(١) ليس في الاصل ارقام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ (٢) هكذا في الاصل ولا توجد ارقام بين (١١) و (٢١)

الفكر العربي

لا يزال في الاغلال

شيوخ نجد وشيوخ مصر

بمناسبة كتاب « هذي هي الاغلال »

أصدر العالم النجدي الأستاذ عبد الله علي القصصيمي كتابه « هذي هي الاغلال » يريد به أن يحرب المسلمون والعرب الحياة بعد أن جربوا الموت طويلاً ، فهبت عليه عواصف الرجعية والجمود من كل مكان ، في مصر وفي المملكة العربية السعودية ، وقاموا يرمونه بكل سهم وجدوه حتى لقد استعانوا بالكذب والوشاية وبما هو أقل منهما تدراً . وتاريخ النضال بين الرجعية وبين أنصار التقدم والثوب تاريخ طويل ، زاهر بالبطولة والنبل من جهة ، والنذالة والصغار من جهة أخرى . والإنسانية أجمع مدينة بكل ما لديها من علوم وأفكار وآداب وحضارات وصناعات ، وأديان أيضاً ، هؤلاء الرجال القلائل الذين يوهبون الجرأة على الباطل الموروث وعلى التقاليد الآخذة بالخناق وعلى الأصنام المرفوعة وعلى كل نقص وضعف قديمين . ولو أننا تصورنا البشرية محرومة من هؤلاء الرجال البسلاء لما كان هنالك بد من أن تصورها تحبوا في مطلع وجودها الفطري البدائي المهبين ، عاجزة عن الوقوف على قدميها . وقد تقدم البشر في العصور الأخيرة تقدماً عظيماً من حيث الاستعداد لقبول الجديد من الأشياء ونبت القديم الذي يثبت فسادُه أو نقصه أو عجزه عن تحقيق الأهداف العليا للحياة السعيدة الصالحة . وقد عدت أوروبا وأمريكا اليوم نموذجين واضحين في هذا الاستعداد . ومن أجل هذا استطاعت أن تسيرا في خطوات سريعة دائبة إلى هذا التفوق الذي أوقع العالم كله تحت سيادتهما الظافرة . أما نحن — والشواهد على ذلك كثيرة متلاحقة — فلا يزال حيث كانت البداية الفكرية ، وحيث كان الجمود الصارم العنيد . وقد يكون من شواهد هذه القضية السيئة ، هذه الضججات والصرخات التي تنطلق ملعلة حول كل ومضة فكرية أو وثبة عقلية يقدم عليها — في ركام من الركود والهجوم — أحد الذين رزقوا هذه الموهبة الإنسانية النادرة التي لا تستطيع بيئتها الخاملة الكسول أن تمنعها إلا نفاق الموقوف في

سريها المرسومة وإن أقرب الشراهد على هذا الجمل والكمثران الذهني لدينا — معشر العرب أو معشر المسلمين — هذا الرجفان المزلزل من الأباطيل والكاذب ضد هذا الكتاب : كتاب « هذي هي الأغلال » والمهم هنا جداً أن نعرف من هؤلاء المتناصرون المتحالفون لمحاربة هذا الكتاب ، وما هي الأغراض الحقيقية الخفية التي تدفعهم أو تدفع أكثرهم إلى خوض هذه المعركة ، وما الذي يجب أن يصنعه أولو الفكر والرأي والأمر رد هجومهم وللاخذ على أيديهم — إذا كنا حقاً راغبين في أن نسلك الجادة التي سلكها الناجحون في الحياة الصانعون لها ، وإذا كنا أيضاً نريد أن نتقبل هذه الحياة تقبل الأحرار المشاركين في التبعات ، لا تقبل العبيد الذين تفرض عليهم حياتهم ووجودهم فرضاً ! !

إن الذين نهضوا لحجب هذا الضياء هم فريقان من حيث المكان : فريق هنا في مصر حيث تضج بالأضواء والأفكار والصناعات التي أبدع في إيجادها ذلك العقل الذي تقلت من أغلاله ، وفريق في الحجاز ونجد حيث يدأب ذلك العقل العربي العبقري — الملك عبد العزيز — على إحياء الموات وإيجاد الحياة وجلب الخضر إلى تلك الآكام الجرداء وإلى رؤوس الحجارة الصماء ... ولكل من الفريقين المتحالفين في هذه الحرب أغراض ودوافع . أما الذين يقاومون الكتاب في الحجاز ونجد فهم فريقان أيضاً : أحدهما أولئك الغرباء الذين جمعتهم المطامع وشهوات الحياة الرخية حول عرش ذلك الجواد العظيم ، ثم ثانيهما أولئك الشيوخ النجديون أو الحجازيون الذين ينسكرون أن يكون في الدنيا ما يطلب أو ما يتعلم سوى كتب الفقه والتوحيد . أما أولئك الغرباء الحافون بعرش طويل العمر من مستشارين وموظفين ، فهم ينسكرون هذا الكتاب لأنهم يعدون أن سلطانهم ومجدهم موقوفان بوجود الليل في بلاد العرب ، وإنهم حينما يطلع النهار هناك يشدون رحلهم لا محالة إلى حيث كانوا قبل أن يبدأوا هذه الرحلة السعيدة الموفقة . وحينئذ يفقدون كل ما وجدوا في عالمي الجاه والمال . إذ هم يعرفون من جهة أخرى أن هذا الكتاب كتاب « الأغلال » — هو بمثابة النهار الذي يشرق فيهزم الظلام ويلزم الذين يعملون في الظلام بأن يكفوا عن العمل ، وأن الشعب الذي يقرأ مثل هذا الكتاب لا بد أن يحب المعرفة ولا بد أن يتعلم ، ويؤمن أنه يفقد هؤلاء الغرباء السعداء ميزتهم التي بها استغلوا تلك

البلاد وأصبحوا حياة أمواتها . ولو أن أهل هذه البلاد قرأوا أمثال هذا السفر وأجابوا نداءه ونهلوا من ينابيع المعارف والعلوم ، لكان هؤلاء الضيوف خارج حدود البلاد من أزمان . . . أنهم يعرفون كل هذه الأمور معرفة جيدة وهم من أجل هذه المعرفة يناوئون كل نور قد يتسلل على غفلة منهم إلى موضع مجدهم وسلطانهم الطويل العريض ، وهم من أجل هذه الحقيقة أيضاً يحسنون — بلا اخلاص ولا تقوى — لأهل البلاد حالتهم ويوحون إليهم بالألأ يغيروها لأن في تغييرها — على حسب زعمهم وقولهم — ضياع الدين والخلق والسعادة . وهم إذن على قول من يقول : « الغاية تبرر الوسيلة » غير مخطئين ولا ملومين . ولكننا نحن المخطئون الملوون يوم نجهل أهدافهم ومسايعهم وما يحاولون ويريدون .

* * *

أما المحاربون لهذا الكتاب من شيوخ نجد والحجاز فهم جماعة من الذين سحنت أفكارهم منذ وجدوا في كهوف مظلمة صنعتها أفكار مظلمة في عهود مظلمة ، فلا أمل في أن يتقبلوا بسهولة وسرعة هذا الضياء الذي يحمله هذا الكتاب ولا عجب في أن ينثروا وينكروا . ولا ريب أيضاً في أن بعض هؤلاء الشيوخ الذين قاوموا الكتاب إنما حملهم على مقاومتهم هذه علمهم بأن من الأفضل والأبقى لمصالحهم الشخصية الخاصة ولملكهم الروحاني القاهر أن يبقوا وأن يبقى كل شيء كما هو . وآخرون من الشيوخ هم من الغباء أيضاً الذين ذهبوا هناك يطلبون الصيد . فلا مندوحة لهم عن أن يقاوموا ما قد يطير بعض صيدهم من أيديهم المفتتحة الرخوة .

وكم حانى جلالة الملك عبد العزيز — هبة الجزيرة العربية بدون نزاع — من هؤلاء الشيوخ حينما أحب أن يدخل الى بلاده ما لا بد منه من حسنات هذه الحضارة وضروريات هذا العصر . . . وقد حرّموا استعمال السيارة والتلغراف والتليفون والراديو والساعة في بعض الأوقات ! وزعموا أن ذلك كله، لا يعدو أن يكون من أعمال الشياطين . وقد اضطرّ جلالة الملك منذ سنين تحت ضغطهم المتواصل القوي أن يأمر بوقف استعمال بعض هذه الأمور مدة من الزمان وبتعطيم الأجهزة ، وهم لا يزالون حتى اليوم يحرمون الملوون — غير

علوم الدين — ويمنعون افتتاح المدارس !! وحسبك أن تعلم بأنه لا توجد حتى اليوم في العاصمة — الرياض — مدرسة حتى ولا ابتدائية . وهذا بسبب مقاومتهم ومنعهم مع حرص جلالة الملك وكثيرين من رجال الدولة الأصلاء أن تنتشر العلوم والمدارس في أرجاء المملكة . ومن أغرب ذلك وأشنعهم أنهم إذا وجدوا كتاباً في الحجاز مكتوباً عليه مثلاً : « كتاب الطبيعة » استنكروا ذلك وعدّوه ضرباً من ضروب المروق والاشراك بالله ، وهم يلزمون بأن تزال من الكتب كلمة « الطبيعة » ولا يقبلون في هذا الأمر جدالاً . ونحن نشهد أن الملك عبد العزيز عبقرى عظيم حيث استطاع أن يسير بدولته وبشعبه في هذه السبيل بين هؤلاء الخرافيين الجامدين .

وأنا لا نشك لحظة في أن مثل هذا الملك الفذ العبقرى لا يمكن أن يحكم أمثال هؤلاء الشيوخ في مثل مؤلف كتاب « الأغلال » أو في كتابه ولا أن يقضي عليه بما يقولون ويؤمنون ، بل لا نشك في أن القضية ستكون معكوسة أي أن الأستاذ القصيمي هو الخلق بأن يكون رأيه وكتابه هو الحكم المقضي بما فيه مع مخالفه .

إن الأمم كلها لتفخر بالمتأخرين من رجالها المفكرين وتعمل على الانتفاع بهم وبمواهبهم العقلية ، وتعد هؤلاء الرجال القلائل هم أعظم فضائلها ومفاخرها . هذا في الأمم التي يكثر مفكروها ، فكيف بأمتنا التي عقلت عن أن تلد من هؤلاء إلا القليل في الزمن القليل . ومن ثمة فليس لدينا ذرة من الشك في أن جلالة الملك عبد العزيز وصائر الأمراء ورجال الدولة الأصلاء ، سيحاولون أن تنتفع البلاد والشعب بهذا الكتاب وبكتابه . لا أن يسمعوا فيه أقوال الجاهلين والجامدين والوشاة المغرضين .

أما الذين يقاومون الكتاب من المصريين فهم عبارة عن شيخ شهر بالتبلى والجهل في بلده مصر وفي الحجاز الذي هاجر إليه مرتزقاً ، ثم رجع منه مطروداً يحمل أوزاره وفضائله الخلقية والعلمية على كتفيه . هذا أحد المقاومين ، ثم جمعية دينية يديرها جماعة من الشبان الذين يعدّون على أصابع اليد . ونحن لانهم هؤلاء الشبان في اخلاصهم ولكننا نتهمهم في عقولهم . وبكفي تدليلاً على هذا أن يكتبوا في الشيخ محمد عبده والسيد الأفغانى وأن يقولوا أنهما كانا منافقين وفاسقين وداعيتين للاستعمار ، وأنهما كانا يؤلفان الجمعيات

السرية لهدم الاسلام . وأن يكتبوا ويقولوا مثل هذا القول في سعد باشا زغلول وفي كل رجل من رجال الدولة والوطن والدين كالشيخ المراغي والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ شلتوت ، وفي أمثال علوبة باشا وأمين الحسيني مفتي فلسطين وفي كل رجل له شأن في وطنيته أو في دينه . وعلى رغم أننا نعتقد أنهم مخاضون ، فإننا نرى أنهم من أجرا خلق الله على الاختلاق وعلى الاتهام بالباطل : وهذا طبعاً ليس من صفات المؤمنين الاتقياء ، ولكنها الغرارة الدينية الطائشة والخصومة التي تقع من غير الرجال ... وثمة خصم ثالث لهذا الكتاب وهو رجل يتعاطى صناعة الأدب الصناعي ولكن مقاومته لهذا الكتاب والاسلوب الذي اختار للمقارنة كانا برهانين على براءته من كل صلة بالأدب بكل معانيه ومبانيه . هؤلاء هم خصوم هذا الكتاب في مصر لا غير . أما أحرار الفكر وقادة الرأي فقد أجمعوا بلا استثناء على امتداحه والدعوة إليه وعلى أنه العلاج لأمراض الأربعمئة المليون المسلم الذين عجزوا لشدة أمراضهم عن أن يسايروا ركب الحياة .

والذي نحب أن نشير إليه إشارة قصيرة من هؤلاء الخصوم الثلاثة هو الخدم الأول، هو رئيس جماعة من الجماعات الدينية الجامدة . والذي نريد أن نقوله هنا انه في معارضته ومقاومته لم يفعل فعل الانقياء المتدينين الذين يزعم انه من أفضلهم أو على رأسهم — بل لم يصنع صنع الرجال المحترمين الذين يعرفون أن لهم مكانة في الهيئة الاجتماعية يجب أن يحافظوا عليها ، وحرمة لا بد أن يرفعوها ، والا فهل يعرف البشر أن رجلاً محترماً يقيم نفسه وزناً — أو يظن أن الناس يقيمون له وزناً — يعتمد الى كتاب مطبوع يملأ الأيدي والمكثبات يحاول الرد عليه أو هدمه على حسب ادعائه ، فينقل منه عبارات وفقرات ويحرفها تحريفاً فاضحاً حتى يزعم أنها باطلة وأنها يجب الرد عليها وأن كاتبها كافر فيجيء مثلاً الى هذه العبارة في الكتاب : « وقد عمل الاملام اعمالاً باهرة لا تكفر ... » فينقلها هكذا بعد أن عمل لها مقدمة وثرماً يوضح غرضه المحرف

المكذوب — : « وقد عمل الاسلام أعمالاً لا تكفى... » (فأبدل بالراء ياءً) وهكذا يكثر من هذا التحريف في الردود التي كتبها ليرد بها على الكتاب. وقد أتى كل صنوف التحريف المعروف عند البشر — زاد ونقص واختزل وغير... ونحن نحب أن يعرف كل من يقرأ لهذا الشيخ أن كل ما ينقله من عبارات الكتاب وألفاظه — دع ما فهمه منه فهماً — محرف بأحد وجوه التحريف المذكورة فلا حجة بما يقول ويكتب إلاّ لدى من لم يوهبوا الملكات الانسانية التي أحد معانيها التمييز والفهم لما يقرأ ويرى. وكفى أن نقول أنه طرد من الحجاز. ولماذا؟ ذلك ما نترك القول فيه له هو، فليس من شأننا أن نقول في ذلك شيئاً إلاّ إذا حملنا على ذلك.

كتاب « هذي هي الأغلال » في اعتقادي أنه هو كتاب العصر في موضوعه وفي القضية التي طالجها، وأنه لا حياة للعرب أو المسلمين ما لم يأخذوا بالافكار الصارمة التي ضمنها والتوجيهات الحية التي جاء بها... إنه الكتاب الذي يجب — في رأيي طبعاً — أن يفرض على المعاهد العالية أجمع ليستطيع القيام بعملية تظهير عامة قوية من ركازات الماضي وسخافات التقاليد وبقايا الضعف الذهني والاعتقادي والديني — تلك البقايا التي تلازم من يتخرجون في الجامعات وفي المعاهد العالية فيأتون — على رغم تعليمهم العالي حازين عن النجاح في الحياة وعن الابداع فيها — بل حازين عن الانتفاع بكل ما لقنوا من علوم ومعارف عالية. والسبب الأكبر في هذا العجز هو ما ذكرنا من سلطان الماضي السخيف العتيد الذي جاء هذا الكتاب ليجمعه أحاديث ومزقاً

وكتاب كهذا لا شك عندنا في أنه ان يلقى لدى سيد الجزيرة وأمرائها ورجالها إلاّ التأييد والنصر الأكيد.

مسلم مر

المحاكم المختلطة

في تاريخ مصر القديم
بمناسبة قرب الغاشي

قد لا يعرف إلا القلة أن هناك ما يسمى « بالمحاكم المختلطة » في مصر القديمة أنشئت لغرض خاص وزالت بزوال الظروف، فصر القديمة كما كانت مهداً للحضارات، كانت كذلك وطناً للتشريع والتقنين. ولم تقل عناية الشعب والقائمين على شؤونه بهذه الناحية الاجتماعية عن عنايتهم بعبادتهم وتقديسهم لألهتهم، وذلك لأن العدل أساس الملك والعدالة شرط لا بد منه إذا أريد للدولة الحياة وللأمة البقاء.

فلا عجب إذن أن نرى للعدل إلهة تدعى « معات » تهيمن على ممثليها في الأرض كالملك والوزراء والقضاة وسائر الأفراد. فالمعبودة « معات » هي التي ينسب إليها القاضي ويدعى كاهنها، و« معات » هذه هي التي كانت تتجلى بتمثالها الصغير من القلادة التي يلبسها القاضي، حول عنقه عند النظر في القضايا. ولعلها في ذلك الوقت كانت تشبه صورة ملك البلاد باعتباره حامياً للقضاء وكان هذا التمثال يوضع في كل قاعة من قاعات العدل ليطمئن المظلوم وي رهب الظالم ولتعميم العدالة في البلاد أنشئت في مصر القديمة محاكم من نوعين، مدنية وجنائية — وكان اختصاص المحاكم المدنية الفصل في المنازعات العقارية من انتقال ملكية أو بيع أو شراء أو هبة أو وصية أو ميراث أو إيجار وما إلى ذلك — وكانت المحاكم المدنية على ثلاث درجات : —

١ — محاكم كانت تعقد في القرى أو المدن الصغيرة وكان يطلق عليها عادة في اللغة المصرية القديمة إسم « جاجات » بمعنى مجالس قضائية. وكان القضاة ينتخبون من الطبقة الخاصة من الموظفين المعروفين باسم « سرو » أي « الكبار » وكانت تعقد جلسات هذه المحاكم بإشراف حاكم القرية.

٢ — الثانية محاكم عواصم الأقاليم أو بالمصرية القديمة « حات ور » أي البيت الكبير وكانت تنظر في القضايا التي تشبه تلك التي تنظر أمام محاكم الدرجة الأولى وينتخب قضاتها من طبقة كبار الموظفين السابقة. وكانت تعقد جلساتا برئاسة حاكم الأقليم — ووزير العدل هو الذي كان يعين قضاة محاكم الدرجتين الأولى والثانية.

٣ — الثالثة وهي محاكم استثنائية تنظر أمامها قضايا محاكم الدرجة الأولى والثانية وتسمى « صوني حات ور » ويختار قضاتها الستة من أعضاء مجلس العشرة وكاز الوزير بصفته وزيراً للعدل والملك هو الذي يعين قضاة هذه المحاكم الاستثنائية .

ومما هو جدير بالذكر أن القاضي كان يعرف في المصرية القديمة باسم « ساب » أي المصلح إشارة إلى مهمة القاضي والغرض من القضاء ، وهذا النوع من المحاكم لم يلازم الشعب المصري القديم في جميع عصوره ، بل تحول مع مرور الزمن . ففي عصر الوحدة الثاني (الدولة الوسطى) ظهر نوع آخر يعرف باسم « قنبت » واستمر في عصر الوحدة الثالث (الدولة الحديثة) وامتاز بأن يجلس للحكم في القضايا الجنائية عدد من القضاة يتراوح بين ستة وثمانية . وكانت المحاكم الاستثنائية لهذا النوع من المحاكم تسمى « قنبت » ما واستمر الحال على هذا المنوال حتى عصر البطالمة فبقيت هذه المحاكم الوطنية لتطبيق القانون المصري في النزاع بين المصريين والفصل في قضاياهم ومميت باليونانية « محاكم الـ Laocritae »

أما الأغريق فكانت تطبق عليهم القوانين الأغريقية في محاكم أفريقية تسمى محاكم الـ « Chrematistae » إذا كان فريقا النزاع منهم ، وهي تشبه المحاكم القنصلية . واكثر نزوح الأغريق إلى مصر بعد غزو اسکندر الأكبر لمصر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم قيام أسرة ملكية جديدة للبطالمة .

ولما زاد عدد الأجانب الذين وفدوا على مصر وكثرت المداولات التجارية مع وجود اختلاف بين القوانين المصرية المحلية والأغريقية ونشوء المنازعات بين الأجانب والمصريين واختلاف اللغة الأغريقية عن المصرية القديمة وضرورة الفصل في هذه المنازعات ، أنشئت محاكم جديدة عرفت باسم « Koinodikion » أي « محاكم مختلطة » ابتدائية في الفيوم أو الإسكندرية وطيبة ومحكمة استئناف مختلطة في الإسكندرية (مقر الملك) تضم عدداً من القضاة اليونان أو المقدونيين والمصريين .

ولما انقضى الغرض الذي من أجله أنشئت هذه المحاكم زالت بزواله . وفي الوقت عينه تقلص حكم الدولة اليونانية المعروفة بدولة البطالمة وحلت الامبراطورية الرومانية محله . ولعلنا نجد فسحة من الوقت لنوافي القارئ بتفاصيل هذا النظام بين القضايا التي وصلت إلينا .

دكتور باهور لبيب

الأمين في المتحف القبطي

عين شمس

ألعوبة الحرية

(هذه قصة كبيرة وضعها الكاتب الانجليزي المبروف فيلبس أو بنهايم ، تحوي كثيراً من طرائف مغامر أمريكي ، وكثيراً من فضائح الطبقات العليا في إنجلترا . ولما كان فيها مشابهة لكثير مما عُدنا ، رأينا تلخيصها هنا ، وخاصة ما يتعلق منها بحرب الانتخابات البرلمانية ، فكثيرون من الناس يظنون أن الاساليب التي يتبناها المتنافسون على النيابة قاصرة على مصر ، ولكن لها أشباهها في أرق البلاد المتقدمة)

كانت جلسة النبيل الانجليزي السيد وولزلي ، هذه الليلة في أحد مطاعم لندن الكبيرة على مائدة واحدة مع السيد يوسف پاركر الاميركي . وابنته الحسنة الانسة حواء . ولم يكن بين النبيل الانجليزي وبين الاميركي ، وابنته معرفة سابقة ، ولكن المستر پاركر قدم نفسه للشاب الانجليزي على أنه رجل أفاق . وابنته فتاة أفاقة ! واستنكف النبيل الانجليزي ان يقدم رجل اميركي نفسه الى رجل لا يعرفه بهذه الصفة وفي أول مرة يلقاه فيها . فكاد يتركه ويتخلص منه ، لولا أن جمال الفتاة الغالب أبقاه ، عند ما جلست معه ، فرأى فيها جاذبية غريبة .

ولكن المستر پاركر كان رجلاً مشتبهاً فيه لدى رجال البوليس ، وابل المستر پاركر أتى بنفسه على هذا النبيل الانجليزي — عند ما تخيل فيه ملامح النبلاء ، حتى يستطيع أن يتخلص من رجال البوليس اذا داهموه ، بادعائه أنه صديق لهذا النبيل !

وكان مع الاميركيين رجل آخر ، ومعه حزمة صغيرة في جيبه . فطلب إليه پاركر أن يخرجها ويضعها على المائدة ، ففعل . وما لبثت أن اختفت تلك الحزمة والمستر پاركر يقول : كان في إمكاني أن أنقلها من جيبك دون أن تشعر ! .

وفي تلك اللحظة أقبل أحد ضباط البوليس السري الانجليزي ، واتجه إليهم ، ووضع يده على كتف المستر پاركر وحياه ، وطلب إليهم في أدب أن يهبطوه الى حجرة داخلية

للتفتيش ، بحجة سرقة بعض الملاعق والشوك ! .

واحتج المستر باركر على هذه الاهانة التي ستلحق بصديقه النبيل الانجليزي ، واحتج النبيل الانجليزي على هذا الادعاء ، فهو لم يعرف المستر باركر من قبل حتى يسميه صديقه ! .
وذهب باركر وزميله مع الضابط . ثم عادا ليتناولوا عشاءهما الذي طلبه الأميركي وهو ذاهب مع الضابط ، الى أن يعود ، فقد كان واثقاً من عودته السريعة لأنه لم يسرق شيئاً ، والحزمة التي كانت مع الأفاق الآخر اختفت ! .
ورأى النبيل الانجليزي نفسه مسوقاً إلى أن يتصل بالرجل الأميركي وابنته الجميلة ، وهو لا يدري لذلك سبباً إلا دافعاً خفيفاً نحو الفتاة .

واتضح للنبيل الانجليزي أن هذا الأميركي يعرف الكثير جداً عن معظم الأشخاص الذين يمرون بهم ، وعن أبناء لندن نفسها . ولعله كان يعرف الكثير عن (وولزلي) ولكنه أخفى ذلك عنه .

وعجب وولزلي أن تنحدر فتاة بهذا الجمال الى تلك الأعمال الاجرامية ، فقالت له إنها وأبأها يعيشان بهذه الوصيلة ! .

وتشاء المصادفات أن يرتكب الأميركي بعض أعمال النشل أمام النبيل الانجليزي ، فيجد النبيل في ذلك تسليمة بالرغم منه ، ويحسد نفسه مسوقاً معهم ، ولكنه في نفس الوقت كان لا يفتأ يحاول إصلاح الفتاة ، وتهذيب الرجل ! .

واختلط الأميركي وابنته بكل أوساط المجرمين واللصوص في لندن الكبيرة ، وفي أندية القمار ، وانغمر النبيل الانجليزي معهم ، ولم يفلح في حملهما على الإقلاع عن تلك الحياة ، ولم تشفع له مساعدتهما على السرقات ، وعلى الخروج من بعض الورطات التي وقعا فيها ! .

واتفق الأميركي مع لص انجليزي خطر على الذهاب الى دار (الأوبرا) ذات ليلة ، فلما سأل النبيل حواء لماذا تفضل الأوبرا على غيرها قالت له وقال والدها : لأن (الشغل) هناك أربح وأضمن .

ولما ذهبوا إلى هناك ، كانت شقيقة النبيل مع زوجها ، وهو لورد ، وكانت جلمة

الأميركي وابنته ، واللص الآخر بمقربة منها . وكان في الصف الأمامي زوجة أحد أصحاب الملايين ، وهي تتحلى بعقد ثمنه عشرون ألف جنيه .

ومال اللصان وتهامسا ، وعرف النبيل أنهما يتآمران على سرقته ، وكان ! . ولم تتبين النبيلة سرقة عقدهما إلا عند الانصراف ، فأغلقوا الأبواب ، ولم يدعوا إلا النبلاء يخرجون . وبحث صديقهم فلم يقع لهم على أثر ، فأسرع إلى المطعم الذي اعتادوا اللقاء فيه ، فوجدهم هناك ، ووجد العقد الثمين بين يدي المستر پاركر الأميركي يتفرج عليه هو وابنته ! .

ولم يكد الإنجليزي يراهم ويرى العقد مع صديقه اللص ، حتى طلب إليه أن يخفيه ولكن الأميركي لم يطعه ، وظل يتأمل حتى دهمهم ضابط البوليس السري الذي يتتبع خطوات الأميركي وابنته وقد رأها منذ قليل في الأوبرا ، فأخذ يراقبهما ، ولكن الأميركي اختفى عن نظره كالسحور . فلما اكتشفت السرقة عرف أن الأميركي هو السارق ، وأسرع خلفهم ، ودهمهم والعقد بين أيديهم ، فساقهم إلى مركز البوليس ، ولشد ما أدهش النبيل الإنجليزي أن جاء الخبير في الجواهر فقرر أن العقد زائف ، فأطلقهم البوليس واعتذر رئيسه ! .

وفي صباح اليوم التالي وجد النبيل الإنجليزي العقد الحقيقي في جيبه ، فأرسله إلى صاحبه ، من لص تائب ! .

وتكررت أمثال هذه الحوادث كثيراً ، ولكن الحادثة التي ساعدتهم فيها النبيل الإنجليزي مساعدة حققة ، هي عند ما كانوا في المطعم الكبير ، وقد اصطحب الأميركي لهواً إنجليزياً آخر كبيراً ، وقرر معه نشل رجل أخرج حافظه نقوده من جيبه وأخذ يتأملها ، ولعله كان من رجال البوليس . وقد نصبوا هذا الفخ ليقعوا الأميركي الذي دهمهم بسرقاته وعبقريته في السرقة ! .

ونشلت الحافظة بمهارة عجيبية ، وأقبل ضابط البوليس السري يجري وأمسك بتلابيب الأميركي وزميله اللص الآخر .

وساقهما إلى مركز البوليس ، ولكن النبيل ترك الفتاة التي يحبها — بنت الأميركي —
جالسة في المطعم وأسرع لعله يستطيع انقاذ والدها ، وأحاط بهم رجال البوليس ، ولكن
الأميركي الماهر تمكن من اعطاء الحافظة للنبيل الانجليزي الذي كان أسرع من الأميركي في نشلها
منه بمهارة عجيبة ، ووضعها في جيب صاحبها الاول !

وتركهم ضابط البوليس وهو يعرض شفتيه ، وقد أدرك أن النبيل الانجليزي هو
الذي فعل ذلك ، لأن الأميركي وزميله الآخر كانا محوطين برجال البوليس السري . وهز
الضابط رأسه ، ولعله كان يفكر في تدبير آخر !

وعادوا ثانية الى حواء قبل منتصف الطريق !

ونصح الضابط السري للنبيل الانجليزي أن يتعد عن ذلك الاصر وابنته لأنهما مشبوهان
وهما ان أفلتا من قبضة القانون اليوم فلن يفلتا منه إلى الابد ، فسيتمان في يده يوماً ما ...
وليس من الكرامة أن يكون أحد النبلاء محلاً للشبهات ؟
والقانون لا يرحم ...

فاذا ضبط النبيل معهما أثناء تلبسهما بارتكاب حادث مرفقة ، اتهم بما يتهمان به ،
ولكن النبيل لم يرتدع وكان كل غرضه أن يتزوج من الفتاة وينتشلها من تلك الحياة ، فيعرض
عليها الزواج فتصدده عنها أولاً في رفق ولين ، ثم تعود فتغافل له ثم تلين ، ولكنه
لا ييأس ...

وعرض عليها ماله لتنفق منه هي وأبوها مرة وأخرى ، ولكنها قاطعته محمدة وطلبت
إليه أن يكف عن هذا ...

ولما صحبهما إلى أحد أندية القمار القذرة ، ورأى أساليب المقامرين في السرقة ، ورأى
كيف نشل أبوها الفين من الجنيهاً كانت على مائدة القمار ، ورأى تألم الفتاة لهذه الحياة ،
حاف لها ذلك ، فصمم على أن يصلحها بأية حال ... ولكنها كانت تقول أنها ليست من
طبقة ، فيبدو عليه أنه ابن أحد النبلاء ، وأما هي فابنة رجل أفاق !

ويدعوها الشاب إلى حفلة عشاء في أحد المطاعم الفخمة ليقدمهما فيها إلى أقاربه

فيرفضان أولاً ، ولكن النبيل الشاب يلحف عليهما فيقبلان ولكن على شرط أن يغير الأميركي وابنته اسمهما ، وان يحضرا الحفلة باسم آخر هو — مستر بندركوم وابنته ! ويقدمهما النبيل لاخته وأقاربه فيرحبون بهما ويحيونهما .

وتأخذ صمة الشاب تتحدث إلى هذا الأميركي — بندركوم — وتخبره أن ابنتها عندما عاد اليهم من أميركا أخذ يمتدح لها أحد الأغنياء الكبار بهذا الاسم — بندركوم — ويمتدح ابنته ، فقد أكرماه وقضى معهما وقتاً طيباً .

وتخبر قريبها الشاب أنها أرسلت في طلب ابنتها ليسلم عليهما لأنه يشق الي رؤيتهما واكرامهما كما أكرماه ...

ويذهب النبيل ليخبر الأميركي بالورطة التي وقع فيها بانتحال هذا الاسم . فيهرب الأميركي وابنته ، ويترك ورقة للضيف يعتذر عن الانصراف المفاجيء . ثم يكتشف النبيل حينئذ ان فلادة أخته سرقت ، وحلقة عمة نسات ، وخاتماً ثميناً جداً لأحد أقاربه فقد ، فيفكر الشاب ويسرع اليهما فيجد المسروقات فيعود بها حالاً ويقول ان أحد الخدم في المطعم نسلها ، وقد طرد في الحال !

ويتقابل الشاب والفتاة فتعتذر عن سرقة أبيها حتى لأقاربه ويعرض عليهما الزواج أيضاً هذه المرة فتثور فيه ، لأن أقاربه عرفوا حقيقةتها هي وأبيها ، ولكن الشاب يخبرها أنه لفق السرقة لأحد الخدم !

وهنا تشكره الفتاة ، وتبدأ تحبه حباً خالصاً !

ويذهب الشاب الى حفلة أخرى فيأخذها معه .

وينشل الرجل عقداً آخر من زوجة الداعي . ولم يكن بين المدعويين من ينير الريبة غير المستر پاركر الأميركي — أو المستر بندركوم — كما أطلق على نفسه أخيراً ... ولكن الشاب يدافع عنهما دفاعاً حاراً ...

ويذهب اليهما حيث يقجان ، فيجدهما يتساران ، ولما انتهت جولته معهما عاد الى بيته ،

وذهب في صباح اليوم التالي اليهما فلم يجدهما في مقرهما الاول .

لقد رحلا !

وسأل عنهما الخادم فلم يظهر بعنوانهما الجديد ، لأنهما لم يتركا .

ويسقط في يد الشاب ، ويخرج أسفاً مغموماً ، ولكن الخادم يسرع خلفه ويناوله برقبة لاسلكية آتية من أميركا تحمل لغزاً ، فقد كانت تقول — ان ه... أبحر إلى انكترا —

وقال الخادم انهما عند ما قرآ هذه البرقية ارتعبا وأخذوا في حزم متاعهما !

وعرف الشاب انهما يخشيان شخصاً يطاردهما من أميركا .

وبعد قليل يدق التليفون في بيت النبيل الانجليزي ، واذا بالمتكلمة هي حواء ، حبيبته

وقد طلبته اليها ، وأنبأته انهما نزلا فندقاً من فنادق الدرجة الاولى . فلما ذهب اليها

وسألها السبب قالت انهما أصبحا مشبوهين هنالك ، في الفندق القديم ، وليس هناك

أحسن من الفنادق الكبيرة لنفي الشبهات !

وجلس الثلاثة يتحدثون قليلاً .

وأقبل ابن عمه وولمزي ، الشاب الذي كان في أميركا وعرف رجلاً وابنته يحملان إسم

بندر كوم ، وما كاد يرى حواء حتى أسرع نحوها وتناول يدها الجميلة بين يديه وهو

يصيح — لقد رأيتك أخيراً ...

وكاد (وولمزي) أن يصعق عند ما رأى هذا المنظر العجيب !

وكادت الغيرة تفتسه !

إذن هذا اللص الخطر ، وابنته الحسناء ، اللذان يتسميان في انجلترا باسم پاركر ، ليس

إلا بندر كوم ، المليونير الأميركي وابنته ، صاحب المصانع العظيمة التي تنتج الآلات

الزراعية الشهيرة التي تحمل اسمها !

وياها من حقيقة مفروعة

وياها من أسرار محيرة عجيبة !

وما كاد وولزلي يفكر في هذا كله ، وهو أشبه بالتمائه الخمور ، حتى تقف سيدة أميركية في باب الحجرة الكبيرة ، توجه الخطاب الى الموجودين في داخلها... كانت هذه السيدة ترتدي ملابس بسيطة محتشمة ، هي الى ملابس الفقراء المحتشمين أقرب ، وتضع على عينيها نظارتين ، وتكلمت بصوت مرتفع :

«وأخيراً أعثر عليك ، يا سيد يوسف بندر كوم ، أنت وابنتك الجميلة حواء ، وأتأمل في سبيل الحق بكما كل مشاق السفر الطويل والتعب الذي أورتني به بشذوذك الغريب ! هل تعرف كيف أتيت من أميركا الى هنا ، سعياً وراءك ، وقد تركت مصالحى هناك ، واعتذرت عن حضور المؤتمر النسائي الكبير ، لالحق بك ، وأنت تهرب من بلد الى بلد ، حتى عثرت عليك أخيراً ...

« يا سيد بندر كوم أيها الرجل الذي يمتلك ثمانية ملايين من الدولارات ، ويتركها وراءه . ويصحب ابنته الوحيدة حباً في المغامرات ، وسعياً وراءها ، ولم يكفه الفضائح التي تركها وراءه في أميركا .. انني تعبت ، تعبت !
« من هذا السيد ؟ هل أستطيع أن اتكلم في حضرته أكثر من ذلك ؟ انني أعرف السيد الآخر الذي كان معنا في أميركا »

وهنا يخبرنا وولزلي انه خطيب حواء ، فتثور العجوز وتقول — هذا خطيب حواء ! من يدري من يكون ؟ لعله أحد اللصوص الذين تعرف اليهم السيد بندر كوم في مقهى من مقاهي اللصوص ... لعله مجرم وضيع من هؤلاء الذين يسعى السيد بندر كوم وراءهم دائماً ... لماذا لا تزوج السيد الآخر ، هذا الشاب الصغير النبيل . الذي يحمل والده لقب إيرل ، إذا كان لا بد أن تزوجني أحد الانجليز ؟ .

وهنا يقاطعها النبيل الصغير قائلاً — إن السيد وولزلي من أسرتنا ، إنه ابن خالي !
وتصمت العجوز الثائرة !

ويأتي بعد ذلك ضابط البوليس السري الذي اعتاد أن يطارد السيد پاركر — أي بندر كوم — فتقول زوجته إن هذا السيد الضابط ، هو الذي أخبرها عن زوجها عند ما اعطته أوصافه وذكرت له هويته !

وتعود العجوز إلى الثروة ، وإلى ذكر التعب الذي صادفته في سبيل صفرها ، فتقول
الفتاة حواء :

- ولماذا جئت ؟ إننا لم نطلب إليك المحي ؟ !
 - ولكني يا ابنتي أسمى وراء صالحك ...
 - لست ابنتك ، بل ابنة زوجك !
 - نعم يا ابنة زوجي ، ولكنك في منزلة ابنتي !
- وتعود إلى الثروة واللغط ، ويهرب الأميركي من زوجته ويجلس للشراب مع الضابط ،
ومع النبيل الإنجليزي ، الذي أحبه حباً جما !

واختلى وولمزي وحواء .

- وسألها عن السبب في سلوك والدها . وسلوكها معه . هذه الحياة العجيبة ، فقالت :
- لقد أغرم والدي بحب المخاطر . ودراسة الحياة الوضيعة ، التي يحياها اللصوص
والنشالون ، وقد قرأ كل الروايات البوليسية ، ومنملها ، وبزها في الكثير ، وكل أمل من
ذلك لم يعد الدراسة ، فالاصلاح ، فالتهديب !
 - ماذا تقصدين الاصلاح والتهديب ؟
 - أقصد ما أقول ! ان والدي ينغمر بين اللصوص والمجرمين والنشالين ، ويتظاهر بأنه
أحدهم ، وهو يتقن النشل والسرقة اتقاناً عجيباً ، ولكنه إذا وجد من أحد اللصوص ميلاً
إلى الحياة الشريفة ، ساعده عليها !
 - هذا عجيب ومحيّر !
 - هو الواقع ، فكم أصالح والدي من أمور الكثيرين ، وساعدهم على الحياة الشريفة
من جديد ، وسترى بعض ذلك !
 - وماذا صنع بعقد زوجة المضيف الذي دعاني فدعوتكما معي إليه ؟
 - رددناه إليها من (لص شريف) !
 - وماذا صنع بالآلئين من الجنبيات التي نشلها من متندى القمار ؟

— لم ير أن يردّها الى صاحبيها ، لأنه مال مسروق كذلك ، ولكنه ضم اليهما ألفاً ثالثة وأرسلها الى أحد المستشفيات للمساعدة على علاج الفقراء !
 وجلس النبيل مع خطيبته حواء ، وزوجة أبيها ، يتناولون العشاء في المطعم القديم .
 وتطلعت حواء فرأت والدها جالسا مع فتاة جميلة على مائدة قريبة .
 ورآها وولزي ، وحاول هو وخطيبته أن يصرفا زوجة السيد بندر كوم عن هذا المكان كيلا ترى زوجها ومعه تلك الحسناء ، ولكنها رأتها !
 وطلبت من السيد وولزي أن يذهب إليه ويدعوه ، فاعتذر ، ولكنها هددته بالذهاب بنفسها وعمل فضيحة في هذا المطعم المحترم ، فقام الشاب متألما . واتجه الى صهره ، وابتم ، وحياه ، وانحنى للفتاة بصحبته ، وأسرّ إليه أن زوجته جالسة معه هي وحواء ، ولكن السيد بندر كوم تجاهل وقال له :

— أنت مخطيء أيها السيد ! ليس إمسي بندر كوم ! إن إمسي يوسف . هـ . باركر !
 ولكن ... !

فالتفت الأميركي الى الفتاة الجالسة معه وسأها :

— هل تعرفين هذا السيد ، يا آنسة بلانش ؟

— كلاً ...

— أنت مخطيء إذن أيها السيد ! لست أنا المقصود !

وعاد الشاب فأخبر المعجوز ، فنارت وذهبت بنفسها ، ولكن زوجها تجاهلها كما فعل مع صهره ونادى خادم المطعم ليطردها !

* * *

وخرج الشاب وخطيبته ، وجلست المعجوز تنتظر زوجها على باب المطعم ، ولكنه خرج من الباب الآخر مع حبيبته الصغيرة !

مسبح المهرى غنام

(لها بقية)

الشتاء

قالوا : الشتاء ، فقلت : أثقل حملنا - ثقلت حمولة
 قد عاث في حسن الطيب عة حسبا اتجهت ميوائه
 الشمس ، وهي الشمس ، جا ر على رسالتها رسوله
 أطفأ توهجها ، وأثر في نباهتها نخوله
 وضبابه - لا كان - وأراها ، وشجعه فضوله
 يا للحييب بدا ولكن صده عنا عذوله
 والجو مال ببرده والليل طال فقل طوله
 والشهب قد كسبت لديه ولم تفشطها طوله
 فبدت سماء الله كالسميدان مشكولا خيوله
 والطير طير أنسه عنه ، وأنسي ما يقوله
 والغصن بين يديه عا ر ، كاد يحويه محوله
 والروض قد ماتت نضارته وأبناها ذبوله
 نزل الشتاء به فأصبع لا يرى إلا طولوله
 وكذا المهازل لا يمثلها لنا إلا مثوله

شاعر البراري

نتحدثي !

كنت أول من كتب مبيناً عن الأغراض الخفية التي تنطوي عليها شركة «الكاتب المصري» وهي شركة للطبع والنشر وبيع الورق المضغوط وغيره من أدوات الطباعة، وراعي أن يكون الدكتور طه حسين عميل هؤلاء الذين إن تجردوا من كل شيء فلا يتجردون من أنهم هراري وسيكوريدل، ومن أسطورة أنهم من أبناء شعب الله المختار، ومن خرافة أن فلسطين أرض الميعاد، ومن عقيدة أن فلسطين وشرق الأردن وسوريا هي وطنهم الأول، وأن العراق ومصر والسودان وبلاد العرب هي مجاهلهم الحيوي، وأنهم أرقى الأمم وأحق الشعوب بملك الأرض، وأنهم السلالة النقية، يحيون بذلك الفكرة السلالية التي قامت عليها الفكرة الخاطئة في ألمانيا في عهد غليوم، وتجلت بمظهرها الدموي في عهد هتلر.

وان لي لعقيدة لن تخرج من روعي أو تخرج معها نفسي، هي عقيدة أن كل صهيوني يهودي أولاً، وأن كل يهودي صهيوني بعد يهوديته، وأن الحرب التي يشنونها في فلسطين حرب اعتداء، وأن أنظارهم تتطلع الى الشرق الأدنى برمته، وأن يهود العالم أجمعين، وفي أي ركن من أركان الدنيا، يتطلعون الى اليوم الذي يسودون فيه الشرق، ثم من بعد ذلك يسودون الدنيا، لأن هذا الشرق هو ولا شك مفتاح العالم المتحضر.

وقد نشرنا مع هذه الكلمات كتاباً من الدكتور «طه حسين» نشرته جريدة الدفاع في «يافا» في شهر أكتوبر من سنة ١٩٤٥، واحتفظنا به طوال هذه المدة أي حوالي سنة وشهرين لعل الدكتور وشيعته يحققون نبوءته التي تنبأ بها فيه إذ قال:

«ومن يدري لعل خصوم هذه المجلة يبهتون في يوم من الأيام حين يرون فيها خصومة عنيفة للصهيونية وهجوماً عنيفاً على ظاهرها ودفاعاً عن العرب في وطنهم فلسطين».

وإني أتحدث طه حسين أن ينقل العبارة الآتية وينشرها في مجلة «الكاتب المصري»
ممهورة بامضائه الكريم إن كان من الصادقين :

« أنا طه حسين المصري العربي المسلم ، أعلن على صفحات مجلة «الكاتب المصري»
أن الصهيونية إفك وعدوان على العرب ، وأنها تحاول أن تخرج العرب من ديارهم أو تستعبدهم
فيها ليكونوا لها خدماً وعبيداً وإني أبرأ إلى الله من اليهود والصهيونية ، وأن عقيدتي
العربية ، وديني الإسلامي ، يأبى أن يكون وطن عربي مجالاً لمفاسد هؤلاء الأفاكين الذين
هبطوا فلسطين بعد أن لفظتهم أوطانهم ، وإني أومن بما يؤمن به العرب أجمعين أن فلسطين
إما أن تظل عربية ، وإما أن يدفن آخر عربي في ثراها . »

هيا سيدي الدكتور ، إن كنت من الصادقين فانقل هذه العبارة في «الكاتب
المصري» وأمرها «بامضائك الكريم» ، نؤمن بأنك عربي مصري مسلم ، وإلا فقد
لزمك الحجة بما قيدت به عنقك من وعد صريح بأن تشن في «الكاتب المصري» خصومة
عنيفة على الصهيونية ، وأن تدافع عن العرب في وطنهم فلسطين ، ولكنك سوف لا تفعل ،
وغالب الظن أنك لن تفعل ، فانك لست من العروبة بحيث تفعل .

ولا نتحدثك وحدك بل نتحدث معك كل شعيتك من الذين أخرجت لهم كتباً بمال
اليهود أو تعاقدت معهم على أن تخرج لهم كتباً لا يزال تحت الطبع أو كاتب أجرته ليسود
صفحات من «الكاتب المصري» ، نتحدث هؤلاء جميعاً إن كانوا عرباً مسلمين أو نصارى
أن ينقلوا أو ينقل واحد منهم هذه العبارة وينشرها ممهورة بامضائه الكريم . أما إذا فعلوا
فقد آمننا بعريبتهم وإسلامهم أو نصرانيتهم ، وإلا فإن الحجة التي تلزمك تلزمهم أيضاً
بالتبعية لك ، وأقل ما في ذلك أن يصح رأينا الذي قلناه وهو أن أهون ما في هذه الشركة
من مفاسد ، أن تسكن أفواه مئات الكتاب إذا ما ارتبطوا معها بمصالح مادية ، ومن أطعم
فه ، استتحت عينه .

هيا سيدي الدكتور : تشجع قليلاً ، وتذكر قولة عمر بن الخطاب «ذهب ما أعطيتموه
وبقي ما أعطاكم» .

كتاب من :

الدكتور طه حسين عن القضية العربية

كان السيد الاديب خليل شطاره قرأ مقالا في مجلة «العياد» البيروتية القراء فيه اتهام للدكتور طه حسين بتشجيعه للصهيونية. فكتب بكتاب الى الدكتور جاءه عليه الرد التالي :

تلقيت كتابك وانا اشكره لك اجل الشكر واجب ان تعلم انني الى ان قد انفتحت حياتي كلها في خدمة الادب العربي لا يمكن ان انحرف عن حب العرب وخدمتهم في حياتهم القديمة . فاما الشائعات التي حدثتني منها فان مصدرها المنافسة التجارية من جهة والضعف السياسية من جهة اخرى والحسد البغيض من جهة ثالثة والشر لا يشر الا شرًا .

وخلاصة هذه القضية ان سبعة من اليهود المصريين قد اشتركوا في عمل تجاري صرف قوامه نشر الادب العربي قديمه وحديثه ونقل الجيد من الادب الغربية الى لغة الضاد وطلبوا الى ان اكون مشيرهم في ذلك فقبلت بعد ان استقصيت واحسنت الاستقصاء وتبينت ان الامر لا يتصل ولا يمكن ان يتصل بالصهيونية من قريب او بعيد .

ونحن ننشر مجلة «الكاتب المصري» وهي مجلة مصرية عربية ظهر العدد الاول من اعدادها واني اتحدى من شاء ان يحد في هذا العدد وفي الاعداد التي ستليه اشارة للصهيونية او تأييد لها .

ومن يدري لعل خصوم هذه المجلة يبهتون في يوم من الايام حين يرون فيها خصومة عنيفة للصهيونية وهجوما عنيفا على ظلمها ودفاعا عن العرب في وطنهم فلسطين .

وما اكتب اليك هذا دفاعا من نفسي ولا عن المجلة فاشعرت فقط بالحاجة للدفاع في هذا الموضوع وانما اثر في نفسي كتابك الكريم فأحببت ان يعلمن قلبك وان تثق باني لن اخلف ظنك ولا ظن أحد من العرب انما مثلي ومثلي الذين يشيعون في وعن المجلة كلمة السوء ما قال الشاعر العربي القديم
هنيئا صريحا فسير داء نحاس

لعزة من إصراضا ما استنحت
طه حسين

١٥ أكتوبر

الكنوز النفيسة

في القمامات الخسيسة

كثيراً ما تكون المصادفات وحدها سبباً لتكشف كنز ثمين أو إظهار شيء دفين . وقد جاءت الأنباء حديثاً بأن المتقنين في مدينة رومية قد عثروا على تماثيل رومانين أثريين في حالة جيدة ، وذلك حينما كانوا يحفرون نفقاً تحت أرضها .

ومما يجدر ذكره في هذا الشأن أنه في سنة ١٩٤٠ اكتشفت في أراضي ليبيا خرائب معبد ، زعم علماء الآثار التاريخية أنه هيكل كلبوإطرة . وهو معبد قائم في حفرة عميقة أحدثتها قنابل الطائرات القاذفة للقنابل عند ما كانت تنهال على ذلك الميدان .

وبعد ذلك بعامين كان الجنود الأميركيون يحفرون الأرض في ضاحية مدينة بايستم Paestum بإيطالية ، وذلك لاستخراج الحصى منها لحصب الطرق ، فعثروا على ضريح من العصر الحجري ، غاص بآثار من ذلك العهد ، رجح العلماء أنها أقدم التحف التي كشفت من نوعها حتى الآن .

وفي شتاء سنة ١٨٩٩ كان الدكتور جورج ريزر العالم الأثري المشهور ، يدير مجموعة من أعمال التنقيب عن الآثار التاريخية في بلدة تبتونس (تاون) Tebtunis بمصر ، وكانت أعماله تسير سيراً وئيداً . وكانت تسود خيامه التي ضربت في الصحراء مظاهر اليأس ، حيث كان عمال التنقيب ، كلما توغلوا في الحفر ، نبشوا تماثيل مخطئة لا غير . وكان قليل منها لا أهمية له ، وسائرهما لا تقع منه يرحى . وكانت الشروط المعقودة بين الدكتور ريزر وعماله العرب ، تقضي بأن لا يدفع لهم أجراً إلاّ عن الشيء الثمين الذي يستخرجونه من جوف الأرض . ولذلك صدف أخيراً عن مكافأتهم على هاتيك التماثيل العقيمة الملفوفة بلفائف التحنيط . ومن حسن حظ أحد الأعراب أنه كان ذات يوم يحفر حفرة أثرية وهو محتدم غيظاً فأخرج لقيته وحطامها على سطح الأرض ، فتناثرت أعضاؤها شذر مذر ، كما كان العامل يتوقع . ولكنه لم يلبث أن انقلب امتعاضه ، ابتهاجاً إذ تبين أن الشظايا التي تطايرت من جوف التماسيح ، كانت أوراقاً بردية قديمة موهورة خوراً رائعة ، هي التي كان ينشدها

مخدومه ، على أن يكافئ نابشها أسخى مكافأة . وعند ذلك شرع الدكتور ريزنر في تحطيم جميع هاتيك التماثيل المحتقرة التي كان قد أمر بنمذها قصيصاً ، تحطيماً تاماً ، إذ تذكر من فورهم أن ورق البردي الذي كان القدماء يلقونه في زوايا النسيان كانوا يستعملونه لاف الأشياء والطبقات الداخلية لتلك الحيوانات المحنطة جميعها ، فصارت المستندات التي أتيح استردادها بتلك الوصيلة ، ضمن المجموعة النفيسة التي تحتفظ بها حالياً جامعة كليفورنيا

ثم إن أغلب نماذج الاواني الزنكية الاولية البريطانية الموجودة الآن في المجموعة الأثرية المشهورة عثر عليها مكتشفوها إما في الآبار ، وإما في مجاري القاذورات وإما في الخزائن القديمة المغلقة وإما في وسط طبقات المساكن العتيقة . وبيان ذلك أن الشركة القديمة لصناع الزنك كانت حظرت على أعضائها ترميم أي وعاء مكسور من هاتيك الأوعية الزنكية . وكان يحذوها على ذلك مراعاة مصلحتها ، إذ رأت أنه خير لصناعتهم انتاج الاواني الجديدة وبيعها ، من ترميم السابق استعمالها ، فمجهز أرباب المحون واليكيزان والشمعدانات الزنكية عن إيجاد الصناع الماهرين الذين يستطيعون إصلاحها ، فألقوها في أماكن خفية وزوايا مهجورة ، وهي تلك المواضع والزوايا التي ما فتئت تستخرج منها بين حين وآخر . وكثيراً ما تكون العوامل الباعثة على فقد الكنز أو اخفائه ، خطيرة الشأن ، مثل الظروف التي تلازم الكشف عنه .

وقد تخفى مأساة قديمة من المآسي التي كاد الناس ينسون تاريخها . وذلك مثل مجموعة أورفيتو الخاصة بالأواني الصينية الجميلة التي أُلقيت في بئر بناء على أمر قسيس محلي أراد بذلك تطبيق القواعد الصحية ، قصد منع انتشار وباء الطاعون ، وذلك بارغام الجمهور على نبذ أطباقهم الجميلة . حدث بعد انقضاء قرون من الزمان ، أن حلَّ ما كن جديد في ذلك البلد الواقع على التلّ الايطالي القديم ، فأخذ ينظف بئر الدار السابقة الذكر ، فعثر على حطام الاواني الصينية البديعة المشار اليها ، فبذل قصارى جهده في اعادة تركيبها وترميمها حتى عادت كأصلها ، ولما نجح في عمله ، جعلت عائلته تقلد صناعتها فراجت بصناعتها رواجاً عظيماً ، إذ هي تحمل طابعاً غريباً هو رسوم العصور الوسطى التي تؤلف من أرضية بيضاء يغشاها لون أخضر زمردني أو أصفر برتقالي . وفي إثيوبيا كانت مجموعة كتب قبطية خطية

كاملة في دير من ديورتها ملقاة في جب وقايةً للكتب من نهب الأعراب إياها عندما غزوا بلاد الحبشة . ثم تمكن أحد الشيوخ فيما بعد ، من استعادتها فابتاعها منه المسترجع . ب . مورجن^(١) وذلك بمبلغ ٤٠٠٠٠٠ دولار . وفي أواخر القرن التاسع عشر دمرت النيران قصر تلينجين القديم في هولندة ثم بيع ما بقي من أثاثه الذي تسنى انقاذه من الحريق ، بالمزاد العلني . فتقدم اشرائه خمسة عشر تاجراً تواطأوا بعضهم مع بعض على ابتياع تلك التحف بأبخس الأثمان ثم بيعها فيما بعد بأهبط الأسعار ليقسموا الربح فيما بينهم . وحدث في أثناء انهماكهم في التصرف في هذه الغنيمة أن جاء صبي من أبناء أحدهم ، وجعل يعبث بعلبة رثة من علب الجواهر والحلي ، كانت مطروحة على الأرض نسياً منسياً فلمس بغمته نابضاً (زنبركاً) خفياً كان مثبتاً فيها . فسمع حينئذ طقطقة أعتابها بروز درج خفي فدرس الغلام يده في محتوياته الوضاعة الألوان وأخذ يلعب بالحشوة اللامعة التي تكشفت له ، غير انه لم يلبث أن اتجهت إليه أنظار أصحاب الشأن وذلك حينما نارا وأفضى سر ذلك الكنز . فأخذ يبادلهم التهاني فأقصوه تواتراً عن موقعه حيث وجدوا في ذلك الدرج مجموعة من الماس والياقوت ، وكانت جميعها من الأحجار الكريمة المشهورة والحلي النفيسة التي كانت مفقودة منذ عهد طويل في قصر تلينجين الذي كانت جاكين أف باتافيا كونتيسة هولندا وزيلندة ، سجنينة فيه حتى توفيت سنة ١٤٣٧ وكانت قد نجحت في اخفاء جواهرها تلك عن أبصار ظالمها منذ زمن طويل . ونجم عن تلك اللقطة ثراء أولئك التجار وبلوغهم منزلة مالية لم تعلن للملأ قط ، فقيل إنها أربت على نصف مليون من الدولارات . وكان رجل من المكسيك الجديدة يثبت^(٢) بتراً فعثر على دلو ملأى بالنقد والحلي الإسبانية القديمة بلغت قيمتها وزناً تسعة آلاف دولار ، فقيل إنها من المجموعة الثمينة المشهورة التي جمعها ج . س . كاندلاريو التاجر الهندي الذي كان مستوطناً ذلك المكان . ولكنهم لم يكشفوا سبب اخفائها في تلك البئر . وكذلك عثر بعض فعلة باريس على كنز من عهد لويس الخامس عشر في غضون هدم مبنى قديم في شارع موفيتار .

عوض هنري

(١) هوجون بيربوت مورجن ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي سنة ١٩١٣ مالي أميركي مشهور وجامع التحف المعروف (٢) نبت البئر — نبتتها وأخرج ترابها

تخريج كتاب الملل والنحل

للمهرستاني^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ، وصلام على عباده الذين اصطفى . باسمك اللهم : أستلمهم الصواب ، واستهدي الرشيد ، وأتقي مواطن الزلل .

هل هناك فلسفة إسلامية ؟ وهل هناك ثقافة عربية ؟ وهل هناك تفكير شرقي ؟ وإن كان ، فما قيمة هاتيك الفلسفة ؟ وما طابع تلك الثقافة ؟ وما يناهض هذا التفكير ؟ وحتى إن لم يكن ، فكم ؟ وكيف عاش الشرق — أو الشرق الإسلامي — طوال هذه المدة ؟ وكيف وصلت إلينا معارف السابقين — من يونان وغيرهم — وليس بيننا وبينهم إلا غرب صادر ، أو شرق قادر ؟؟

هذه أسئلة ضلّ في الإجابة عنها كثير من المتفلسفين ، من مستهل القرن التاسع عشر إلى اليوم ، بل وهاتيك قضايا لم تجد بعد القاضي العدل المنصف ، على رغم كثرة القضاة الذين تعرضوا لإصدار أحكامهم فيها بمختلف اللغات ، وفي شتى الجهات ...
وعندي أن الجواب عن كل سؤال من هذه الأسئلة . أو الحكم في كل قضية من هاتيك القضايا — يحتاج إلى : مستندات صريحة واضحة ، ودراسات مستفيضة مفصلة ، ومدافعين أقوياء وقضاة عدول ، أعني يحتاج إلى تخريج تراث السابقين الفكري تخريجاً علمياً .

وفي يقيني أن من الواجب لعدالة مثل هذا الحكم أن تُقدّم مستندات القضية بأيدي أصحابها وألسنتهم ، أو بأيدي محاميهم والمدافعين عنهم ، أو — على الأقل — بأيدي أصدقائهم ، ليستطيعوا الدفاع عن وجهة نظرهم ، وإبراز مكنون ضمائرهم ونياتهم ، وشرح

(١) هذا هو عنوان الرسالة التي ناقشتها اللجنة الحاسية المؤلفة لذلك بدار كلية أصول الدين برئاسة سعادة الدكتور منصور باشا فهمي ، والتي حصلت بها على شهادة العالمية من درجة أستاذ بدرجة ممتاز في التوحيد والفلسفة من الجامعة الأزهرية بتاريخ ٢٤ من جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٦ من مايو سنة ١٩٤٦ م

ظروفهم ومقاصدهم ، فيجبيء الحكم أقرب إلى العدالة ، وأجدر بالقبول . كما أن العدالة تقتضينا أن نرفض أي حكم في قضية مما أغفلت مستنداتها ، أو قدمت هاتيك المستندات بيد الخصوم أو النائرين ، أو الأعداء

وكم كان جيلاً من « ألفريد دجيثوم » - المستشرق الانجليزي المعاصر أن يقول : « ولم يكن - بعد - الوقت الذي نتمكن فيه من أن نكتب تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وحتى إذا قدّر لنا أن ننشر ما يتصل بها من بحوث مودعة في المخطوطات ، ومنبثّة في مختلف المكاتب في أوروبا والعالم الإسلامي ، وقدّر للعلماء أن يتداولوا هذه المطبوعات - فإن علينا أن ننظر حتى تهيب الأبحاث الخاصة والدراسات المسببة السبيل إلى الاحاطة بالفلسفة الإسلامية ، احاطة تتناول مداها الواسع » (تراث الإسلام ص ٣٧٢ طبع لجنة التأليف) أفلا يجب علينا أن نعمل بكل عزم وحزم وقوة وسرعة على تخريج كنوز السابقين تخريجاً علمياً ، ثم نتدارسها دراسة مستفيضة مستقصية ، فنهيء بذلك أنفسنا للحكم ، ونجلو الأساس السابق - لنهضاتنا العلمية - لنقيم عليه البناء اللاحق ، ونكمل معلوماتنا ؟؟

وكم نحن مدينون بالشكر لجهابذة المستشرقين الذين أمطوا اللثام عن كنوز تراثنا الإسلامي ، وألقوا أضواءً مختلفة على كثير من ثقافات الشرق العربي وعلومه ، وأفنوا الكثير من وقتهم وشبابهم وحياتهم . . . باحثين منقبين ، باثين الآراء ، مصدري الأحكام ، بقدر ما تسمح لهم ثقافتهم العربية ، وإخلاصهم للشرق والشرقيين .
وبحسننا - الآن - أن نستمع إلى بعض أعلامهم يحدثنا عن موقفهم من العربية : يقول « نلليو » : « فاعتبروا أننا المستشرقين الباحثين في أوروبا عن لغات أهل الشرق واعتقاداتهم وعوائدهم وآدابهم وتاريخهم وجغرافيا بلادهم . . . وهلمّ جرّاً . . . ما تعلمنا تلك اللغات إلا بمطالعة الكتب . . . فبالجملة : صار مثلنا كمثل الصم والبكم ، وأصبحنا في كنوز العربية مترددين ، وفي بحورها متحيرين ، مع صرف همتنا إليها ، ومنابرتنا عليها » (علم الفلك ص ٣ طبع روما) .

ومع هذا فانا عاجزون حقاً عن شكر هؤلاء المستشرقين الاعلام ، الذين أيقظونا من سباتنا ، ودفعونا إلى المحافظة على تراث آبائنا وأجدادنا . نقبوا في ديارنا ، فنفضوا الكرى عن عيوننا . نعم نعلن عجزنا من شكر هؤلاء القوم ، حتى نرد اليهم جميلهم ، ولا أقصد أن

نكون مستغربين كما أن فيهم مستشرقين ، بل أريد أن نكون شرقيين ، نعني أولاً بتصفية تراث الشرق وتقديمه : صافياً لمن أراد ، شهيئاً لمن استطعم ، عذبا لمن استشرق ، فنصح بذلك أحكام الماضي الجائر ، ويصحح المستشرقون معنا - مشكورين - أحكامهم الماضية . ومن أيدري ، فلعل قسماً من هذا التراث يهدي الانسانية ، ويردها الى مقررات الوحي ، والعقل والضمير .

ولكن ما السبيل الى ذلك ؟ السبيل الى ذلك واضحة جلية ، ينحصر - الآن - في تخريج مؤلفات السابقين بنقدها داخلياً وخارجياً . ونعني بالنقد الداخلي : تحرير الآراء ، وتجريدها مما علق بها من محار النساخ وأصداف المتعاملين ، ويدخل في ذلك دراسة أهواء المؤلف ، وميوله وشخصه . . . ويجب لهذا أن يجرّد الباحث نفسه من شخصه وعصره ، ويلقي بنفسه في أعماق من يريد أن يخرج له أو يكتب عنه ، ويتغلغل معه في ثنيات عصره ومصره . . حتى ينطق بلسانه ، يكتب بقلبه ، ويخطو بقدمه .

ونعني بالنقد الخارجي : الحكم على هذه الآراء من خارج المؤلف - بعد تحريرها - ويجب لهذا أن يجرّد الباحث نفسه من ميوله وأهوائه ومعتقداته . . . حتى يكون عدلاً في حكمه ، موفقاً في تقديره . . .

لكل ما سبق - ولا كثير مما سبق - انصرفت همّي الى تخريج كنوز السابقين ، وتقديم المستندات العلمية بين يدي أحكامنا ، على رغم العقبات التي تعترض هاتيك السبيل ، والصعاب التي قد تستصعب إذا فترت المهمة ، تلك الصعاب والعقبات التي يجمع أعلام المستشرقين والشرقيين - من الذين تحملوا مشاق التخريج العلمي - على انه لا يمكن تقديرها الا ممن استهدفوا لها ، ووهبوا أنفسهم ونفيسهم لخدمة الانسانية جنود مجهولين .

فانتدبت نفسي لفتح باب هذا العمل - الجليل في قوته ، اللذيذ في صعوبته - أمام الشباب المصري ، الناهض الفتى ، ذي المضاعف العازم ، والعزم الماضي ، والامل الدافع . وكما أود أن يتقدم طالبو الاجازات العلمية من هذا الشباب بهذا العمل ، الذي انفرد به حيناً من الدهر كبار المستشرقين . حتى وفق الله كبار أصاوتنا الشرقيين لاقتحام ميدانه ، فأسدوا الى الانسانية عامه ، والى المكتبة العلمية خاصة - خير ما يصدي ظم انتفع به ، ونفع الله به .

وأخذت أفكر فيما عساه أن يكون باكورة إنتاجي ، لأتقدم به لنيل درجة الأستاذية من الجامعة الأزهرية في التوحيد والفلسفة ، وأكون بذلك أول من قدّم رسالة من هذا الطراز ، لنيل درجة علمية في مصر . . . فأغار عليّ - في توجيه الحكيم ولفتة البكر - الدكتور محمد البهي ، بتخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني . والشهرستاني حبيب إلى نفسي من ابتداء التعليم العالي - من ثلاثة عشر عاماً - أو يزيد ، إذ هو المنهل العذب لمقالات أهل العالم إلى يومه ، بيد أنه واسع الآفاق ، رحب الجنات . وكلم عليّ كبار الأساتذة . ألاّ أخاطر بتخريج الكتاب كله ، مكتفين بتخريج جزء منه ، والوعد بتخريج الباقي ، ولكن . . . ولكن طبيعة العمل ، وما استطعت الحصول عليه من المراجع والأصول ، وما وفر في نفسي من أن أفتح باب التخريج العلمي على مصاريحه . . . كل هذا ، وأكثر من هذا ألح عليّ أن أنجز الكتاب مرة ، فأثرت أن أخرجه كله .

وأظن أنه يكفي لإثبات تخريج كتاب « الملل والنحل للشهرستاني » أن يشعر الإنسان أنه من صاحبه أمام عالم في عالم ، وأنه منه أمام كون في كتاب ، وأن يعلم أن هذا الكتاب طوّف بالعالم أو كاد . وما ظنك بكتاب رحبت به معظم الجهات ، وتلقفته شتى اللغات ، فظهرت له كثير من الترجمات ، فضلاً عن مختلف الطباعات ؟ ثم ما ظنك بكتاب أثني عليه أقطاب علماء المشرق والمغرب - في القديم والمتوسط والحديث - بخير ما يُثنى به على كتاب ؟ فيقول التاج السبكي عنه : « هو عندى خير كتاب صنّف في هذا الباب » ، ويقول « ألفريد جيوم » فيه : « لا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان » .

فإن حقّ لسائل أن يقول : لقد نشر « كيورتن » الانجليزي هذا الكتاب ، وطبع في لندن سنة ١٨٤٢ وسنة ١٨٤٦ م ثم ليبرز سنة ١٩٢٣ باللغة العربية ، كما طبع مراراً في مصر مجرداً وعلى هامش الفصل لابن حزم . . . فقيم إذاً جهدي ؟ ولم تتعب نفسك ؟ وعلام تخريج كتاباً قد حُرِّج ؟ . . . إن حقّ لسائل أن يقول هذا ، وجب عليّ أن أقول له : إن « كيورتن » - على رغم إجلالي وإكباري لجهوده الجبار - لم يتعمق فهم نصوص الكتاب ، بل ولم يختره كله ، كما أنه لم يفقه كثيراً من فقه لغته ، ولم يروّض نفسه على اكتناه أسلوبه ، ولم يتبع حتى أصول التخريج العلمي التي رسمها لنفسه في نفس الكتاب ،

وفوق هذا، فقد فرض رأيه على كل قارئ - وقارئة طبعاً - ، إذ لم يثبت قراءته المختلفة للنسخ التي اعتمد عليها ، مع أنه مستشرق يسير في العربية بذوقه الخاص ، وفي دأريته الخاصة ، بل لقد احتفظ بملاحظاته ، وتعليقاته ، والقراءات المختلفة ، والفروض الخاطئة ، وثبت الأخطاء الكتابية والمطبعية . . . إلى مقدمة الترجمة الانجليزية - للكتاب كما يقول - تلك الترجمة لم يظهر شيء منها حتى الآن ، وقد مضى عليه أكثر من قرن من الزمان . بل وهذا « كيورتن » نفسه ، يسجل بيده قصوره وتقصيره ، فيصرح بأنه لم يتأمل كل جملة بأقصى انتباه ، ولم يختبر المؤلف كله ، ولم يحقق مخطوطتي « اكسفورد » مع وجود المساعدين المستعدين لكل ما يطلب . وكأن شعوره بتقصيره وخطئه ، وإحساسه بأن القراء قد أمسكوا بخناقه - جعلاه يرتبك في اعتذاره ، ويعتذر في ارتباك ، فيرتعش القلم في يده ويضطرب . ويسطر كلمات مرتعشة مضطربة ، حيث يعيد بترجمة الكتاب إلى اللغة الانجليزية ويرى أن هذا عبء كبير ، ثم يقول : « وهذا العبء سوف يلقي عليّ ضرورة التأمل في كل جملة بأقصى انتباه ، والعودة إلى اختبار المؤلف كله ، وعندي أمل في تحقيق المخطوطتين جميعاً الموجودتين في « اكسفورد » ، اللتان - الى الآن - لم أبحث منهما إلا صفحات مليئة بالصعوبة والغموض ، بمساعدة الأستاذ « بري » الذي هو على أتم الاستعداد لإجراء كل التحقيقات التي أطلبها منه . . . وعلى هذا فلا يصح الاعتماد على طبعة « كيورتن » ولا الوثوق بها .

وأما طبعات مصر للكتاب - سواء المجردة منها أو التي على هامش ابن حزم - فيؤسفنا أن نقرر أنها - ككل الطبعات القديمة - ليس فيها غناء علمي الآن لأنها لم تُعَن بالنصوص عناية كافية ، وحتى ما عني منها بالنص فمن مخطوطة واحدة وتصحيح عاجل عابر ، ولأنها خالية من علامات الترقيم التي تعتبر إرشادات هادية في القراءة الحديثة ، ولأنها خالية - أيضاً - من التقسيم والتبويب والتفصيل ، مما يجعل القارئ نائهاً في بدايتها ، ولأنها - مع كل هذا - خالية من الفهارس التي تصل القارئ بسرعة ويسر إلى غايته من الكتاب ، فتوفر عليه وقته وجهده . . . ولأنها . . . ولأنها . . .

وفوق هذا ، فإننا وجدنا كل طبعات الكتاب السابقة وترجماته ، بل وحتى مخطوطاته

يعمها الاضطراب ، ويكثر فيها التشويه ، ويشيع فيها النقص ...
وبحسبنا أن نعلم أن كل الطبوعات ، وكل الترجمات ، وجل المخطوطات لهذا الكتاب ،
قد سقط منها « نقل (الجيهاني) عن زرادشت في المبادئ » وهو موضوع خطير وجديد
لم نثر عليه بعد في مصدر آخر ، وقد شغل هذا السقط إحدى عشرة صفحة كاملة .
وأن نعلم كذلك أن كل الطبوعات ، وكل الترجمات ، والغالبية الغالبة من المخطوطات ،
لم نستطع الوصول إلى المقدمة التي قدّم بها الشهرستاني كتابه للوزير نصير الدين ، تلك
المقدمة الجليلة التي تنفرد بمباحث قيّمة : منها التّهدّي إلى تحديد زمن تأليف الكتاب
وإثبات مذهب الشهرستاني الاعتقادي ، والنص على اسم الكتاب ، وسبب هذه التسمية ...
وهذه حقائق قيمة وضرورية ، ما كان لباحث كائن من كان أن يقطع بها . بل ولما استطعنا
نحن ذلك لولا هاتيك المقدمة التي تفردنا بتخريجها ، بعد أن فتشنا ما وسعنا التفهيش ، وشققنا
خضام المظان العلمية ، وقلبنا صحائف المكتبات العامة والخاصة ... حتى خلاصت لدينا
أصول كثيرة للكتاب : ترجمات ، وطبعات ومخطوطات .

ولما كان الإنسان لا يمكن أن يتخصص في كل نواحي العلم ، ولا يستطيع أن يحيط
بشئى اللغات ...

ولما كان لا بدّ من الاتجاه إلى المتخصصين والاستعانة بهم ، خصوصاً في النواحي
العلمية المترامية ، ليجيء الإنتاج العلمي أقرب ما يكون إلى الكمال ، فيصح الاعتماد عليه .
ولما كانت الاستعانة هؤلاء المتخصصين لا تقف عند حدّ ما كتبوا ، بل الأولى -
حتى وإن دوّنوا - الاتصال بهم في آخر لحظة - كلما أمكن - ليكون الاعتماد على رأيهم
الآخر ...

لما كان كل هذا ، فقد حرصت ، جهد طاقتي ، على أن أتصل بالأعلام المتخصصين مباشرة
وألتقي عنهم شفاهاً - ألفاظاً أو تحريراً خاصاً ما وسعني ذلك ، فإن لم أستطع التجأت إلى
ما دوّنوا سابقاً وعوّلت على ما كتبوا من قبل ، في القديم ، والمتوسط ، والحديث .
ولذا جاءت مصادرنا على قسمين : قسم مميّناه بالمصادر الناطقة ، وقسم مميّناه بالمصادر
المكتوبة . ونعني بالمصادر الناطقة : العلماء العالميون ، الذين أمّدونا بأفكارهم ، وتوجيهاتهم

وإرشاداتهم ، وطاونونا : بمجهوداتهم ، وأقلامهم وأوقاتهم ... كل في دائرة اختصاصه ، وقد بلغ عدُّ هؤلاء الجهابذة عشرين عالماً من مختلف الملل والنحل والأصناف ، فهم - بل - فيهم شكري ؟

وهكذا جُلبنا في الكتاب جولات وجولات ، مع كبار المتخصصين تارة ، ومستعنيين بالله تارات وتارات ، بعد أن ارتعينا في أحضان صاحبه وصاحبنا أربع سنوات كاملة - بل - يزيد - ليلاً ونهاراً ، غير حاسبين للزمن والنصب حساباً ، وتغلغلنا معه في ثغرات عصره ومصره : نتسمع إلى خلجات نفسه ، ونتحسس مدركات حسه ، ونسائر وثبات حده ، ونطوف ما نُطوف معه ، ونصل معه بالحكام والسلاطين ، ونعقد معه المجالس الوعظية والعلمية ، ونتصفح معه مآت الكتب والمراجع . ثم نقف عند كل كلمة من كلمات كتابه ، نستشير فيه فيشير علينا ، ونستوضحه فيوضح لنا . والحق أنا كنا طوال هذه المدة صاحبين مخلصين : أسر لي وفهمت عنه

ثم أخذنا نتصفح كتابه وندرسه ، مبتكرين فهارسه ، منفردين بتقسيمه وتجزئته وتبويبه وتفصيله مغربلين منظفين ، مطبقين كل ما رممناه من قواعد « التخريج العاج » . حتى خرجناه بقي الإهاب ، حسن الجلباب ، « يؤتي أكله كل حين باذن ربه » . بعد أن بينا أن أول ما يلفت النظر في أمر « التخريج العلمي » اضطراب أمره لدى القائمين به ، وارتعاش حبله في يد القابضين عليه : فبينما نرى المبالغ في الإفراط ، إذ نرى المبالغ في التفريط ، وبين هذا وذاك نرى أفواجاً سلكوا طرائق قديماً . وقد عرضنا عشرين نموذجاً من نماذج التخريج العلمي لكبار المستشرقين والشرقيين ، وتعرضنا لمن أمسكوا بعنان هذا الموضوع في العربية نظرياً . ثم قررنا قواعد جديدة للتخريج العلمي نظرياً وعملياً ، نرجو أن تكون دستوراً المشتغلين به ، ونبراساً للمتصدين له ، خصوصاً وقد اجتازت تلك القواعد ميادين الامتحان ، وفازت - من يد كبار المتخصصين - بالامتياز .

ونحن في كل هذا ندون مجمل ما سمعنا ، وما شاهدنا ، وما لمسنا ، وما لاحظنا ، وما درسنا وما استنتجنا ، حول كتاب الملل والنحل هذا ، قبل تخريجه ، وحال تخريجه ، وبعد تخريجه . فجاء عملنا على أربعة أنواع ، في أربعة مجلدات :

نوع اجتمع تحت عنوان « تمهيد تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني » ، ونوع ثانٍ اجتمع تحت عنوان « الشهرستاني وكتابه الملل والنحل » . وقد ضم هذين النوعين مجلد واحد تحت عنوان « المدخل الى كتاب الملل والنحل » ، وقد اشتمل على ٢٤٥ صفحة من القطع الكبير .

والنوع الثالث نص الكتاب بمفارقاته وعناوينه ، مقسماً مفصلاً . . . وقد تفرق في المجلدين الثاني والثالث ، اللذين شغلا ٨٦٦ صفحة .

والنوع الرابع الفهارس الخمس التي ابتكرناها للكتاب ، مع فهرس مخطوط . وفهرس الترجمة الألمانية ، وقد احتوى ذلك كله المجلد الرابع في ١٨٤ صفحة . وبذا يكون هذا العمل الجليل قد تم بحمد الله في ١٢٩٥ صفحة من القطع الكبير .

وبحسننا الآن أن نمرّ سريعاً على كل نوع من أنواع هذا العمل ، موجزين ما وسعنا الإيجاز :

١ - المدخل الى كتاب الملل والنحل : ولعلّ تحديد الصفحات ، ووقت القارئ ، والحرص على تقديم عمل استغرق حوالي ١٣٠٠ صفحة تقديمًا دقيقًا . . . يضطرنا إلى أن ننشر أمام القارئ الآن الفهرس لذلك المدخل ، فتنكشف بذلك الموضوعات التي طالجناها به ، وهاك نصه :

فهرس المدخل

القسم الأول : « التمهيد لتخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني » .

١ - واجباتنا

- (١) الفلسفة الإسلامية : (١) هل هناك فلسفة إسلامية ؟ (ب) وكيف نحكم عليها ؟ (ج) ومتى يكون الحكم عليها صحيحاً ؟ (د) الواجب علينا .
- (٢) المستشرقون والتراث العربي : (١) شكر وتقدير . (ب) المستشرقون واللغة العربية (ج) المستشرقون والفلسفة الإسلامية . (د) كيف نرد إليهم جميلهم . (هـ) الكنوز العربية وتأثيرها الخالد . (و) الواجب علينا .

- (٣) السبيل إلى أداء هذه الواجبات : (١) تخريج مؤلفات السابقين تخريجاً علمياً .
 (ب) النقد الداخلي والواجب له . (ج) النقد الخارجي والواجب له .
 (٤) فتح باب التخريج العلمي على مصاريحه : (١) صعب التخريج العلمي ومطقاته
 (ب) واجب الشباب وطالبي الاجازات العلمية . (ج) التخريج العلمي وكبار المستشرقين
 والشرقيين . (د) باكورة انتاجي . (هـ) توجيه وإلحاح . (و) الواجب لطبعي العمل والأمل .
 (٥) كتاب الملل والنحل للشهرستاني : (١) ترجمات الكتاب إلى مختلف اللغات .
 (ب) طبعاته في مختلف الممالك والبلاد . (ج) الثناء عليه من علماء المشرق والمغرب .
 (د) الواجب علينا .
 (٦) ليس في طبعات الكتاب السابقة غناء علمي : (١) طبعات أوروبا . (ب) طبعات
 مصر . (ج) واجبنا .

محمد بن فتح الله بربراه

حضرة الاستاذ رئيس تحرير مجلة المتطع الغراء

تحياتي لكم وبعد : فلقد اطلعت في عددكم الاخير من المتطع على مقال « الاستاذ نقولا
 الحداد » تحت « آخر كلمة » وهي مختص بالرد على بعض النقاد في موضوع القدرة . وكان مما
 لفت نظري ما جاء في آخر المقال اذ يرد الاستاذ نقولا على الاستاذ جيمان بأن الكالوري
 هو كمية الحرارة اللازمة لرفع جرام من الماء درجة ١° م (وأحياناً لرفع كيلو جرام)
 وذلك حسب القاموس والاستاذ جيمان يعتقد أن الكالوري هو كمية الحرارة اللازمة لرفع
 كيلو جرام ماء .
 وإني أجد أن كلا الاستاذين المحترمين قد وقعا في لبس يقع فيه كثير وقد آثرت أن
 أرسل هذه الفقرة لتصحيح هذا اللبس العلمي . وأرجو نشرها حتى يطلع عليها كل من
 أراد وهي :
 « الكالوري الصغير Calorie ويكتب بحرف c صغير small : هو كمية الحرارة اللازمة
 لرفع درجة حرارة جرام واحد من الماء من ١٥° م إلى ١٦° م وأما الكالوري الكبير
 ويكتب بحرف كبير Calorie - C capital letter يساوي ١٠٠٠ كالوري صغير أي ما يلزم
 لرفع درجة حرارة كيلو جرام واحد من الماء من ١٥° م إلى ١٦° م » .
 وختاماً تقبلوا احترامي لشخصكم العظيم .

عباس مهري

نهائي طب - القصر العيني

الى النيل

حنانك يا قبلة الشاعر
 الى أين تبغي؟ ومن أين جئت
 أليس لسعيك من غاية
 رويدك! ما الكد سر الوصول
 فلو كان في السعي نيل الخلود
 علوت الجبال، قطعت القفار
 فماذا جنيت سوى وحشة
 تمر على بلقع موحش
 وتذسب بين رياض حسان
 وحيناً تفيض على الظامئين
 وحيناً تفيض فلا تهدي
 فهل ضايقتك شئون الحياة
 حياة تذل الأبي الكريم
 تبيحك إن أنت ناصرهما
 وتضحك كالطير بين الرياض
 وتبسم كالزهر عند الشروق
 وتشرق حيناً كنور الضحى
 وليس بها غير طيف شراب
 أضيفك هذا الرحيل الطويل
 تعال فاني بلوت الحياة وقاصيت من حكمها الجائر
 رماي الزمان ولكن خضعت
 فما غلب الدهر كالمستكين
 وهيماً نسير في فيافي الحياة
 فيقذفنا الدهر حيث يشاء
 ويا رمز مجد لنا غابر
 وحنام تنساب كالخائر
 أما لمسيرك من آخر
 وما العيش وقف على الساهر
 لما مات ذو قدم صائر
 وجبت ربي العالم الدائر
 تلوح على موجك العاكر
 قفسار من الشجر الناضر
 تزين بالسندس الزاهر
 بخير كثير الغنى وافر
 الى النذر من مائك الغائر
 فضقت بتدبيرها الخاسر
 وتسعد كل فتي فاجر
 ولكن إذا بعثها تشتري
 وتخضع كالثعلب الماكر
 وتلدغ كالعقرب الناشر
 وحيناً... كليل الدجى العاكر
 قليل الغنا للفنا صائر
 وضربك في القفر والعامر
 لا قهر الكون كالصابر
 ونسبح في بحرها الزاخر
 وما من معين ولا ناصر
 عفيفي محمود عفيفي

كلية العلوم
 بالعباسية

صحافتنا تنحدر

بالأمس خرج الاستاذ فؤاد صرثوف من ميدان العمل العلمي ، ميدان الحق والحقيقة ، وطلق ميدان الأدب والفلسفة ، الى ميدان آخر ، هو ميدان صحيفة أمريكية تعمل للناحية التجارية ، وتبعه في ذلك محمود شاكر الأديب المعروف مؤلف كتاب المتنبي ، وهو بحث فذاً كب عليه صديقنا الأديب فألبسه من أدبه وفكره حلة قشبية زادت الى ثروة الأدب زيادة تذكر ، ترك هذا الميدان الى الميدان الأمريكي ، ميدان الدببة التي تدخل الفنادق ، وتربية الاممك في البرك والمستنقعات ، وقصص البحر وما أدراك ما البحر ، والطائرات الساقطة والصواريخ المنقضة . فكان خروج ذاك العالم وهذا الأديب من ميدان العمل الجدي إنتكاساً لحركة العلم وحركة الأدب في مصر والشرق .

ورأينا كبار كتّابنا مثل صديقي احمد أمين بك وصديقي الاستاذ عباس محمود العقاد وغيرهما من كبار الكتّاب والمؤلفين ينزلون عن عليائهم وعن السماوات التي تحلّق فيها أفكارهم ، وقد بلغوا من النضج العقلي ودرجوا الى منازل الحكمة العالية ، بعد صبر طويل وتجربة مع الزمن واحداث الزمن ، ينفقون من وقتهم الثمين العزيز على العلم وعلى الأدب ، ايسطروا ما يوافق مزاج الجمهور في صحف لا تمت الى العلم بسبب ولا تتصل بالأدب ولا ترتبط بالفلسفة أو الدين بأوهى رباط . إذن فالصحافة التجارية تنحدر وتحاول أن تجذب إليها عطاء الكتّاب والمفكرين ، تتخذ من أممائم التي بنوها بأعصابهم وعصارات قلوبهم ودمائهم الزكية وأعمارهم الطويلة باذن الله ، سبيلاً الى كسب مادي من طريق إرضاء الجماهير الجاهلة السابحة في ظلمات الشهوات الخسيسة والنزوات القذرة ، والا لنصراف عما هو خير الى ما هو شر ، وبئس للظالمين بدلاً .

ورأينا أستاذاً عالماً كبيراً هو صديقنا الاستاذ أحمد زكي بك الكيميائي المعروف يتولى تحرير مجلة الهلال بعد أن انحدرت من عايباء المرحوم جورجى زيدان الى مستوى

الصحافة الأمريكية الرخيصة ، صحافة الجماهير وما إلى الجماهير ، وقد نرى إلى جانب هذا أن صخور العلم والأدب ، تلك الصخور الصلدة التي مثلتها الصحافة الجدية في ما مضى من الزمن ، وقد دعمها أمثال صرُوف وجورجي زيدان وأحمد لطفي السيد والمنفلوطي وعلي يوسف ومصطفى كامل وفريد وفرح أنطون وسركيس وشميل وغيرهم ، وقد أخذت تتحات وتنفض جزئياتها لتصير رمالاً تذرّوها الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرًا .

ظاهرة من الظواهر التي تقض مضاجع الذين يؤملون في الأمم خيراً ، ويودون لو أن جماهير هذه الأمم تخرج من جهالاتها إلى رحاب العلم وميادين الأدب والفلسفة ، لا أن تخرج من جهلها إلى ميادين الروح الأمريكية التي غزت أسواق الأدب في مصر . وغزت بقية الشرق من طريق مصر .

أستغفر الله . أقول الروح الأمريكية تخصيصاً لا إطلاقاً . وإذا قلت الروح الأمريكية فاني أعني بها الروح الهفافة المائعة التي تعمل في تلك البلاد إلى جانب الصناعة والفن والأدب العالي والفلسفة الثابتة وإلى جانب الذرة وقنبلة الذرة ، لا إلى جانب الجهل المطبق والأدب الرخيص ، فتزيدنا جهلاً ، وتروج لما رخص من الأدب على ما في أدبنا من رخص وتقافة وتصرفنا إلى الهزل دون الجد ، وإلى الحكاية دون الأدب ، وإلى القشور دون العلم بل إلى الهاوية التي تحفرها هذه الصحافة تحت أقدام الأمم العربية جميعاً .

يقول المتجرون بالأدب والعلم والفلسفة : إن الجماهير تطلب ذلك . آمناً معكم وصدقنا أن الجماهير تطلب هذه الألوان الرخيصة . ولكن أين نفوسكم وأين ثقافتكم وأين رسالتكم التي تؤدونها لهذا الجيل وللأجيال المقبلة ؟ آمناً وصدقنا أن الجماهير لا ترتفع لأكثر مما تعطونها من مادة ، آمناً وصدقنا أن الجماهير قد تطلب ما هو أرخص مما تعطون في صحفكم ، ولكن هل بدا لكم أن الجمهور كائن أصم أبكم أعمى مجنون لا ينفع فيه التعليم ولا تفيد فيه اللقانة ، وأنه كسائمة الحيوان إن لم تجد حشيشاً تأكله ، أكلت الروث والجيف . آمناً وصدقنا أن الجمهور في حاجة إلى التعليم والارشاد ، فهل ننقذه بمقال في جدال ملك حول طربوش أو قصص في صور ، وغير ذلك مما تغني له النفس وتروح حسرات على الأدب والعلم وعلى الجمهور الذي لا يجد إلا ما تأكل السائمة من الحيوان إذا افتقدت غذاءها الطبيعي فلم تجده ؟ ولعلك تنظر في مجلة كالهلال في عهدنا الجديد ، وهي المجلة الثقافية التي أنفق فيها

منشؤها الأول المرحوم أستاذنا جرجي زيدان ما أنفق من جهد وقوة وعنفوان وعلم وأدب وقصص ، فترى مقالا كتبه طبيب من أطبائنا المعروفين تحت عنوان يضحك الشكلى . أتدري ما هو ؟ أنظر صفحة ١٤٣ من العدد الأول « في الثوب الجديد » الذي شعاره الى الامام ، تجد رؤسنا كبيرا وبالخط العريض « الجسم السليم في الأنف السليم » أليس هذا بمثابة قولك « الفيل الكبير في الخرطوم الصغير » أو قولك « الحية العظيمة في الثوب البئيل » أو قولك « العنق الكبير في الحمة القميثة » . رأيت في عمرك الطويل أو القصير مثل هذا الاحتقار لعقول الناس ، أو على حد قول تجار الادب « غش الجمهور » . رأيت جسما في أنف أو فيلا في خرطوم أو حية في ناب أو عقربا في حمة ؟ رأيت كبيرا يتضمنه صغير ؟ رأيت كذبا يتضمنه جزء ؟ إن لم تكن قد رأيت فانظر في العدد الأخير من الهلال تر المعجزة التي لم يدعها نبي من الانبياء ولا دعي من الادعياء .

كل هذا ينشر للجمهور ، ومن هو هذا الجمهور ؟ هو جملة المتعلمين في جامعة فؤاد وجامعة فاروق والجامعة الازهرية والمعاهد الثانوية والمدارس الاخرى مضافا اليهم قلة لا يعتمد بها من الذين لا يحسنون القراءة . هذا هو الجمهور الزايط الاصم الذي يتجر هؤلاء بصحافته العادية والادبية ، ويملأون من ماله جيوبهم ، ثم يرمونه بالغفلة ضاحكين ، وكل هذا ينشر باسم طلم من علمائنا وفذ من أفذاذنا ، ولا حول للأدب ولا العلم ولا للفن الرفيع أمام سلطان المال في زمان طغت فيه المادية على كل شيء حتى على الروح .

لست أدري بأي ضمير يحاول هؤلاء المنجرون بالأدب أن يحملوا الجمهور مسئولية أوزارهم كاملة . يقولون إن الجمهور جاهل منصرف عن الجد الى اللهو ، متطير من العلم كاره للأدب . كل هذا ليبرروا أصاليهم الملتوية ويخفوا أغراضهم الكريهة .

تاجروا بالصحافة ، واتخذوا الاتجار بها مهنة . ولكن لا تتجروا بالأدب . ولا تتداولوا العلم تداول السلع الرخيصة ، ولا تموهوا على الفلسفة واقصروا عن إغراء الكتاب بالمال ليكونوا لتجاركم سبيلا . بل اجعلوا من أموالكم حقا معلوما هؤلاء الأفذاذ ليعالجوا الى جانب تجارتكم مستغلق العلم وعميق الفلسفة ورفيع الادب ، عسى أن تصنفوا على ما تتعاملون من تجارة شيئا من الاعتبار ، وتؤدوا هذه الجادير التي تنهونها

بالغفلة والجهل ، وتزموها بكل نقيصة ، خفية أو ظاهرة ، بعض الواجب جزاء ما تصبر على
الكيد لها والنيل منها ، وافساد عقولها واثارة الشهوات الخسيسة في ميولها .

لقد انحدرت صحافتنا حتى كادت تكون حضيضاً . ولا مخرج لنا من هذا إلا بأن
تحتقر هذه التجارة وتنبد ويترفع عن المساهمة فيها كبار كتابنا وعلمائنا ، إلا أن يكون
لهم من صفحاتها مجال تسبح فيه ملكاتهم الخصبية ، ويجد فيها أدبهم الرفيع وثقافتهم الممتازة
مرئياً رحيباً ومطعماً نالاً إلى حين .

م : ا

واجعل خيالك واقعا أو مت عننا ...

يا قلب فيم الحبُّ أو فيم المنى ؟	والحب كالعقواء ، لا هي أو أنا
أما المنى من غير حبٍّ في الفتى	هي باطلٌ لا خيرَ فيها أو غنا
عجباً أتتبعُ الخيال وتبتغي	فيه دنى لك إذ تصدَّ عن الدنى ؟
منوَّبٌ ؟ والساق جدٌ ضعيفٌ	أم طائرٌ ؟ والجِنحُ مطويٌّ ثنى
فلأنت كاللاني قصوراً في الهوا	والغيرُ شيدٌ في الثرى لما بنى
فدع الخيال إذا توقف عاجزاً	متلفتاً ، فهو الخرافة والضنى
أو إن تكن رجلاً فحقق منيةً	واجعل خيالك واقعا أو مت عننا

بنفاد

أبوب

واجب الشاب العربي

يعيش الشاب العربي اليوم في عالم تتسابق أممه ، وتتنافس شعوبه ، وتتنازع دوله أهد العراق في أكثر الأحيان ، وكل أمة من هذه الأمم تبذل ما في وسعها ، وتقدم كل ما تُطيقه في سبيل تكوين جيل جديد من بنينها وشبابها ، يكون عدة الحاضر وأمل المستقبل والمعتمدين عند النوازل ، والمأجراً لدى الكوارث ، .. والأمة العربية الكريمة التي حملت أرفع الرسالات ، وأدت للإنسانية أكبر الأمانات ، وأذاعت بين الناس أجمل المبادئ ، ودعت بين العالمين بأحسن الدعوات ، دعوات السماء والنور ، والروح والأخلاق ، وتلتفت وراءها فتري لها في ماضيها تاريخاً مجيداً تليداً ، كله المفاخر والمآثر ، وتطلع الى الغد القريب أو البعيد فيدفعها الأمل ويحدوها الرجاء ؟ هذه الأمة العظيمة الكريمة المحيدة تحتاج في نهضتها الحاضرة التي نشاهد بوادرها وبواكيرها ، جيلاً جديداً ، قوياً في جسمه ، ناضجاً في عقله ، نبيلاً في خلقه ، فها هو واجب الشاب العربي في هذا الميدان ، حتى يكون شبيلاً قوياً فتيةً من أشبال ذلك الجيل الجديد ؟ ..

أمام الشاب العربي واجبات كثيرة وتبعات جمة ، لا بد له من أن يعي بها ويلتفت إليها ويحس نفسه عليها ، ولا نستطيع في مجال محدود كهذا المجال أن نفصل أو نخل ، أو نحصى ونستقصي ، فحسبنا إذن أن نطوف بعناوين واجبات ورءوس مسائل ندع جزئياتها والحديث عن تفاصيلها لألمعية ذلك الشاب العربي الذي تكفيه الإشارة وتغنيه عن العبارة .. يحتاج الشاب العربي في هذا العصر الناهض المتنافس أهله وأبنائه أن يدرس جغرافية وطنه الأصغر ، وهو مسقط رأسه ودولته التي نشأ فيها وتحت حكمها يعيش ، وجغرافية وطنه الأكبر ، وهو سائر الاقطار العربية الشقيقة ، وكذلك تاريخ وطنه الصغير والكبير ، فإنه من المؤسف المؤلم أن نرى الكثيرة الغالبة من شباب العرب هنا وهناك لا يعرفون من تاريخ بلادهم أو جغرافيتها إلا النذر اليسير ، ولعل شباب مصر في جهلهم بتاريخ الاقطار

العربية وجغرافيتها أكثر من غيرهم وأصعب ، لأسباب كثيرة ليس هذا موطن عرضها ، وسائل إن أردت التأكد من هذا شاباً مصرياً عن عواصم الأقطار العربية أو مدنها الكبرى أو تاريخ جغرافيتها أو ماضي تاريخها ، فإنه لن يحير جواباً ، ولن يرد بما فيه غناء ولقد تسائله عن أقطار أوروبا وأمريكا فيحدثك عنها حديث العارف بدقائقها قبل جلائلها ويسرد لك أسماء الكتب التي قرأها عن تلك الأقطار وأما بلاده ووطنه فليس لها عنده حساب ! والشاب العربي لا بد له من أن يعرف الآلام السياسية والاجتماعية والمادية التي يشكو منها كل عربي أو مسلم ، فإن الشعور بالنقص أول درجات السكالم كما يقولون ، ولقد كان لك أيها الشاب العربي في الزمن الماضي وطن عزيز ، وتاريخ كريم ، وآباء وأجداد قادوا وسادوا ثم جرت الأحداث والنكبات على أخلافهم فذلوا وهانوا ، وحسبك أن تسمع في ذلك أنه الشاعر العربي إذ يصور ذلة الوطن العربي بعد عزته ، وضعفه بعد قوته ، وزوله بعد ارتفاعه فيقول :

مالي وللنجم ؟ يرعاني وأرماه ! أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه !
لا تحسبني محباً يشتكى وصباحاً أهون بما في صليل الحب ألقاه
إني تذكرت ، والذكرى مؤرقة مجدداً تليداً بأيدينا أضعناه
أنسى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوداً جناحاه
وحي العروبة ! كان الكون مسرحها فأصبحت تتوارى في زواياه !
كم صرّفتنا يد كُنّا نصرّفها ! وبات يملكنا شعب ملكناه !!

وها هو ذا شاعر العرب والإسلام ، أمير الشعراء المغفور له أحمد شوقي بك ، يهنيء المغفور له الخديوي عباس حابي الثاني بخروجه إلى الحج في قصيد طويل رائع ، يختمه بأبيات هي أنات وزفرات وحسرات على حاضر الشرق العربي الإسلامي ، وفيها دماء صارخ وأمل حار ورجاء قوي في أن يدفع الله عن العروبة هذا البلاء ، وأن يحرص أهلها ويوفقهم لكي يعملوا كما عمل سواهم في ميادين العلم والصناعة والحضارة ، فيستردوا مجدهم وماضيهم الزاهر الناضر ، فيقول مخاطباً الخديوي عباس :

إذا زرت يامولاي قبر محمد وقبّلت منوى الأعظم العطرات
وقاضت من العين الدموع مهابة لأحمد بين السمر والحجرات

وأشرق نورٌ تحت كل نسيئة^(١) وضاع أريج تحت كل حصاة^(٢)
 لمظهر دين الله فوق تنوفة وباني صروح المجد فوق فلاة^(٣)
 فقل لرسول الله ياخير مرسل أبئك ما تدري من الحسرات
 شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف في عميق سبات
 بأيمانهم نوران : ذكرٌ وسنة^(٤) فما بالهم لا يعلمون لآت ؟
 وهذا زمان أرضه وسماؤه بحال لمقدام كبير حياة
 مشى فيه قومٌ في السماء وأنشأوا بوارج كالأبراج ممتنعات
 فقل : رب وفق للعظام أمتي وزين لها الأفعال والعزمات^(٥)

هذه صرخات أوحى بها ما أصاب أقطار العروبة من آلام ونكبات ، ومن المؤلم أن تكون هذه النكبات بعيدة عن قلوب الشاب العربي ، ولو أنهم أدركوها وأحاطوا بها لدفعتهم الى تغيير ما هم فيه من ذل وخسران ...

وكذلك يجب على الشاب العربي أن يعرف الآمال التي يأملها وطنه ويرجوها في حاضره ومستقبله ، فإن الإنسان الذي لا يحس بألمه لا يمكن أن يبرأ منه ، والشخص الذي لا يدري ما تحتاجه صحته وصلاحته يكون عرضة للآفات والنوازل ، فاذا أهل وفرط ثم ابتلي وأصيب ، فلا يلومن إلا نفسه ، وما أصدق ذلك الذي قال :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمة فتنوء منه بفادح الأثقال
 ظلم الرعية كالعقاب لجهلها ألم المريض عقوبة الإهال !

وهذا الخاطر السابق يسير بنا إلى خاطر آخر يتصل بهذا الموضوع ، هو أنه يجب على الشاب العربي أن يحصل في هذا العصر على أكبر قدر ممكن من العلم والمعرفة والثقافة ، لأننا في عصر لا تتنافس فيه الأمم بأجسامها أو سعة أراضيها أو كثرة عددها أو اتساع مداها ، بل نحن في عصر العلم والفكر ، في عصر الكتاب والمعهد ، في عصر المذياع والبرق والبارجة والمدرعة وحاملة الطائرات والقنبلة الذرية وتحطيم الذرة ، في عصر الوصول إلى أدق ما في الكون من أسرار ، في عصر استخدام الهواء والماء والسماء وجوف الأرض ،

(١) النسيئة : طريق الشعب ، وضاع : فاح . (٢) تنوفة صحراء واسعة . (٣) هذا أحسن ما بهدى إلى الذين يهاجون كتاب « هدي مي الاغلال » — المهر

مسافة قليلة من الزمن مرتبة كبريات الصحف والمجلات في الشرق العربي ، وبخاصة إذا توفر لدى القارئ بها حامل الصدق والاخلاص في هذا الجهد ، فهل من متقدم إلى الميدان ؟ .. والشاب العربي في حاجة إلى أن يدرس ما كان لأسلافه العرب الأوائل من محامد ومفاخر ، دانوا بها الزمان وحلوا بجهلها جيد الأيام ، وما ضمنوه صفحات التاريخ الباقي من نواحٍ امتازوا بها عن سواهم وحرصوا عليها ، حتى تكون هذه المفاخر الرائعة من أقوى الحوافز للشاب العربي تحفزه إلى أن يتشبه بالذين سلفوا من آباءه ، ويسير على طريقهم ، وينهج نهجهم ، وينسج على منوالهم ، وكذلك يجب عليه أن يدرس في الاسلام من تعاليم خلقية واجتماعية واقتصادية ، حتى ولو كان الشاب العربي غير مسلم ، فلسنا نعرضه على ترك عقيدته الدينية بطريق غير شريف ، وإنما نحب له أن يطلع على تلك الجوانب المشرقة في دين الاسلام من جهة الاخلاق والاجتماع ، والقرآن الكريم بعد هذا أو قبل هذا يقول : « لكم دينكم ولي دين » . والاسلام إنما جاء بلغة العرب وللعرب أولاً ، وإن كان للناس كافة بعد ذلك وانتشر الاسلام بجهود العرب ، وكذلك كسب العرب كثيراً من المفاخر بانتسابهم إلى الاسلام ، واستغلالهم بلوائه ودخولهم في دولته ، سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين ، فالصلة على هذا وثيقة جداً بين العروبة والاسلام ، وكما يجب على المسلم أن يعتز بالعرب والعربية ، يجب على العربي أن يعتز بالاسلام وتعاليم الاسلام ، حتى يكون لنا من هذا الترابط قوة ومنعة واتحاد .. ومن اللائق بالشاب العربي في هذا العصر المجاهد المكافح أن يجعل له ناحية في الحياة يبرز فيها ، ويبرز أقرانه فيها ، فيعكف على أية هواية شريفة ، أو ناحية مفيدة ، في العلم أو الأدب أو الفن أو الصناعة ، ليقصر عليها جانباً كبيراً من نشاطه ، ويستنفد فيها أوقات فراغه ، حتى يتقنها ويجيدها ويمهرها ، ويصبح عالماً من الاعلام فيها ، إذ لا يكفي اليوم أن يأخذ الانسان من كل فن بطرف كما كان يقول القدماء ، بل لا بد له فوق هذا من أن « يتخصص » في ناحية من النواحي ليسبق فيها غيره وسواه ، فنحن في نهضتنا الحاضرة نريد أن يكون فينا أدياء متمazon ، وعلماء متخصصون ، ومخترعون مبتكرون ، وصناع ماهرون ، وأفذاذ في كل ناحية ، وأعلام في كل ميدان ، وهذا لا يتحقق إلا إذا وجدت روح « التخصص » عند الشاب العربي ، فأدّى واجبه المعتمد في جميع الجهات الموكولة إليه ،

ثم اختص ناحية من هذه النواحي بقسط من العناية والرعاية حتى يوفى فيها على النهاية ويشرف على الغاية ، لأننا نحن العرب لا نشكو انعدام المجتمع المتوسط في علمه ومادته ، وقد يكون الجمهور عندنا في الجملة أرقى من جماهير كثيرة في نواح كثيرة ، وإنما نشكو قلة العباقرة والممتازين في العلوم والفنون بيننا . وهؤلاء العباقرة هم الذين يصنعون على قلتهم تاريخ الأمم ، ويبنّون مجدها ، ويبلغون بها الذروة من الحضارة والمدنية ، فما هو نوع امتيازك أيها الشاب العربي ؟ بل ماهي جهة « اختصاصك » التي برعت فيها ؟ .. هل حاولت أن تكون رساماً بارعاً ، أو أديباً ممتازاً ، أو صانعاً حاذقاً ، أو موسيقياً فناناً ، أو خطاطاً مجيداً ، أو رياضياً قادراً ، أو شاعراً نابغاً ، أو أية ناحية من نواحي التفرد والنبوغ ؟ .. .
وكم أتمنى أن يعود الشاب العربي نفسه على أن يلزمها بتقديم خدمة يومية لبلاده دون أن يحتقر شيئاً في هذا السبيل ، فكم من أشياء يظنها تافهة ، وهي في الحقيقة والواقع تؤدي إلى خير عاجل أو آجل لبلاده أو للعرب جميعاً ، فبحث عن تاريخ العرب خدمة ، ودفاع ضد متهم عليهم خدمة ، وتصحيح خطأ في لغتهم خدمة ، وكتابة مقال عن مفاخرهم خدمة ، وظهورك بمظهر مشرف لهم في خلقك ومعاملاتك وعاداتك خدمة ، وصلوات الله وسلامه على رسول الاسلام الذي فسح ميدان الإحسان والبر ، فجعل الكلمة الطيبة تقولها لصديقك إحساناً ، والأذى تبطه عن الطريق إحساناً ، والابتسامة في وجه ملائكتك إحساناً ، وردّ السائل ردّاً حسناً إحساناً ، وغير ذلك من وجوه الاحسان ، فلا تحتقر شيئاً أيها الشاب العربي في سبيل بلادك ، فان القليل إلى القليل كثير ، وكل ما نظم فيه هو أن توجد فيك الرغبة الصادقة الأكيدة في السير إلى الامام

يا شباب العرب . . . أنتم عدّة الوطن ومماده ، وركنه وسناده ، بكم يقوى ويعلو ، ويشتد ويسمو ، وأنتم الذين تكتبون تاريخه وتغيرون وجهته ، فإلى الامام . . .
إلى الامام يا شبّية العرب وكتيبة الغالب . . . إلى الامام يا جند النصر وأهل الصدر . . .
إلى الامام يا حزب الرحمن وقهرة الشيطان . . . إلى الامام والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم .
هو ولي الصابرين ، ومنيب العاملين ، وناصر المجاهدين ، وهو نعم المولى ونعم النصير . !

اصحح التمرين

المدرس بالازهر الشريف

قصة للتاريخ

— ١ —

تنفس الصبح وهي صاهرة تذكر الماضي فيطوف بها الأسى ، وترقب وجه النهار المقبل فيهتف بها الخوف . لقد كان زوجها حبيباً فشربت كأسه مرةً وهو في ربيع دنياه ، وكان ولدها البكر زينةً ورجاءً فزكته بعد أبيه ، ثم كانت مشيئة الله في بصرها الغالي فكـف من مد البكاء ، وكادت نفسها تفيض لولا رحمة من السماء شامت لها أن تعيش . . .
وأنت لو شهدت هذه المكفوفة في ليلها ذاك ، لحسبتها ظلاً لامرأة جلست على حشية فقيرة ، وقربة من نائم شاب تتحسس مرفقة ، فتمر بيدها الراجفة على رأسه ، وتمر بها على دثاره ، وتستاف نسيمه تارة كالشحيح الخائف على نفيس عنده ، فهو يأخذ نفسه بالتماسه ، ويأخذها بمعاودة هذا الالتباس ، وفي الأحيان المتقاربة .
كان هذا الشاب ولدها الوحيد ، أو طفلها كما تدعوه ، وإن كان قد عدّ عشرين ربيعاً ، وغداً يستأثر بقضاء الباب حين يدخل عليها ، ولعلها أخذت ، في إرادة هذا الامتداد لطفولة ابنها ، بشعور مشفق حريص ، كأن الشباب يسلمها الملك عليه ، أو كأنها تجد في الطفولة عوذةً تقي من العين .

واسكن أي وجه من الحياة مخوف تو شك أن تستقبل إذا كان النهار ؟ ونطلب الجواب فنرتد إلى الحرب العالمية الأولى يوم كان السلطان لترك ، ونهرج على مدينة من تلك الجاثمات على شاطئ البحر الشامي ، ففي هذه المدينة القديمة الجميلة تقيم الأم وفتاها ، وفيها كما في غيرها من بلادنا الحبيبة كان الشبان وكان الكهول يساقون إلى الجنديّة على عجل ، وفي شيء من العنف إن شئت نبأ الناس يومئذ .

وكان الفتى ابن المكفوفة هذه — وندعوه فؤاداً — من بين أولئك ، فاحتج بأن ليس لأمه من طائل آخر ، واسكن سجل النفوس شهد أن له أخاً ، فقيل : ليس بُدّ من أن يسام

أحدهما في الذود عن حياض الدولة ، ولا مفر من الواجب المقدس .

قال الفتى : (نعم لقد كان لي أخ ، فمجلت به المنون مهاجراً في ديار الغرب منذ أعوام خلت ، وعندى على موته طائفة من البنات إن إردتموها) . ولكن المجلس العسكري الموقر أبى أن يأخذ بقول الشاب فالوفاة في عرف القانون إنما تثبت بنص السجل ، والسجل هنا ليس فيه شيء مما زعم ، ثم هذه خزانة السلطان قد رفقت بأهل الخصاصة من ذوي الجنود ، فجعلت للانسان منهم كفاء ما يجرر من العوز ، عشرين قرشاً في الشهر الواحد ! حمل فؤاد هذا الى أمه ، وحمل إليها إنه من الغد صائر الى الجندية ، يستقبل عهداً لا يعرف لنفسه فيه غاية ، ولا لذات غيبه مصيراً ، ثم أردف يقول : وليس من حيلة يا أماه ! إلا أن أستجيب ، واهلي أرتد إليك سالماً ، إن كتب عليّ أن أعود .

قالت — وإلى أين هم آخذوك ؟

قال لا علم لي بهذا يا أماه ! وإنما رأيت الناس يتحدثون بأن الحرب قائمة في الشمال وفي الجنوب ، كما هي في الشرق وفي الغرب .

— ومتى تعود إليّ ؟ فاني ما زلت أذكر أخاك .

— لعل الله يحدث أمراً ، فلا تطول غيبتى .

— امض من غدك على بركة الله ، وسأدعو لك دائماً كما أفكر فيك ، وقد اضطر فأبيع بعض ما في البيت ، فلا يسوءك هذا إن فعلته .

— كيف يا أماه ! واهلي أجد ما أبعث به اليك ، فليست أعلم إلا أن الله رحيم كريم .

على هذا تنفس الصبح ، وهتف المؤذن : حي على الصلاة ، الصلاة خير من النوم ، فاذا الأم تهض فتبرح مجلسها ذاك في شيء قليل من الحركة ، وشيء كثير من الهدوء ، حذر أن يحس طفلها النائم ، فهي إنما تحب له أن يتزود من الراحة ما وسعه أن يتزود لغيره . ثم أخذت تتلمس طريقها قبل فتاة يتيمة في البيت لا تعرف إلا أنها تعيش على خدمته ، فهي فيه ثلاثة اثنين ، تحب الأم وتعبدها ، وتحب الفتى وتعبده على صمت وهي تعلم أنها لا تشغل شيئاً من فراغ قلبه .

ولم تكذب تبلغ مرقد الفتاة حتى أحسست يقظتها ، ومعتها تقول : (فاني نمت برضت قبلك

يا أمّاه !) وكان هذا النداء محبباً إليهما جميعاً ، يمدب على اسان الفتاة فتتعمده أحياناً ، ويعذب في أذن الأم فهي تجدد عليه من الاخلاص المأزون حلاوة ، وتختلج في من العزاء ، لو كان للقلب الشاكل المفجوع من صليل إليه .

وتسمى الفتاة فتأخذ بيد السيدة ، فتحس هذه دمعاً يساقط ، فتفرج لها ذراعاها وتروح تضمها ما وسعها أن تفعل ، كأنما هي تريد أن تطفئ بين الجوانح لهيباً ، أو أن تخمد نائرة ، أو أن تترجم عن شيء يهيجس به الخاطر فتقول : (أنت ما أبقى لي الزمان) ، وتسكن الصغيرة إلى صدر الأم هنيئاً ، ثم تتخلص مترفة فتطلق تهيئ لها وضوءها ومصلاًها ولقتى ما أوصى للسفر من متاع .

وتأخذ السيدة في صلاتها ، ثم في الابتهاال الى الله تلتمس لقلبها الصبر ، ولولدها العون فيما يستقبلان من هم هذه الغربة الدانية . وتشهد الفتاة هذا الابتهاال . فإذا هي تهتز على سحر الخشوع ، فيقوم في روعها أن تنهض فتصلي ، وتعجل فتأخذ في وضوءها ، ثم تستقبل السماء تدعو للفتى كما تفعل أمه .

وما كاد وجه النهار يشرق حتى كان فؤاد قد استفاق فنهض يتهيأ لما هو مقبل عليه ، وإذا تم له ما أراد سعى الى أمه ، فطال بينهما العناق وطال البكاء ، والفتاة آخذة بنصيبتها من الحزن واللوعة جميعاً ، حتى ومن الشوق فهي لا تعرف من قلبها إلا هذا الحنين الى فؤاد .

وتشفق الأم على ولدها فتخلي عنه ، فيلتفت فإذا الفتاة همّ به ، فيتلقى الحنان البريء الخجول مودعاً ، ثم يمضي وينغلق باب البيت . . .

- ٢ -

لو كان الذي طاف بهؤلاء الناس حظاً من الغنى ، أو كان جاهلاً من المجد لأحسه الجيرة بل وأهل البلد ، ولساهموا فيه قليلاً أو كثيراً ، ولكنه كان شقاء فما فطن له واحد من الخيسرين ، ثم مر الزمان ينفق من أيامه وأيامه ، ففضى طامان أو أكثر قليلاً ، وكنا

لا نعرف من نبأ فؤاد شيئاً ، حتى أقبلت رسالة منه ذات يوم على صديق تقول :

عزيزي كمال :

كان من حقلك عليّ أن أكتب إليك منذ حين لأصل عهد الشهود بعهد الغياب ، فنعود نحيا على أحلام المجد العربي ، ولكن هذه الجندية ظلت تطوّف بي حتى هذا البلد الذي أكتب منه ،

وبعد فما أريد أن أحدثك حديثي ، ولا أن أسألك ما فعل الزمان بأمي فهذان ما لست استأثر لهما بوقتك كلاً ، ولا أريد أن أقص عليك متاعب الجندي العربي في هذه الحرب ، أو أن أصف لك عبث أعوان هذه الحكومة بالحرقات والحقوق والأرواح جميعاً ، وهذا ما لا ينقصك علم طائفة منه . فقد كثر ما تحدثنا به أيام عهدنا القريب .

وإنما أريد أن أتحدث إليك بمحدث تجربة عربية في هذا البلد العربي ، وقد كان يسعدني أن أجملها بالعطر والنور ، فلا أشقيك بها ، ولكننا — يا صديقي — في حاجة الى العبرة والعبرة الموجهة ، أكثر منا الى العيش على الأشواق السادرة .

إن حياة العبودية في كنف الاستعمار شيء سيء حقاً ، ولكن الأسوأ منه أن تفتح عينيك فإذا أنت عند قومك أمام انحطاط في الروح عن مرتقى الشعب السيد . وأهدف الى غرض الحديث فأعذك أني غشوت هذه المدينة تابعاً لضابط تركي ، ولم يطل الوقت كثيراً حتى كنت أخا وداً لنفر من الشباب وجدتهم قد أخذوا بأخذنا من هذا الحلم بالسلطان العربي ، ورأيت الناس على طرب واستبشار بحاكم جديد ، ليس لأنه العربي الفرد بين حكام المقاطعات ، فالحكام من العرب — وأنت تعلم — غير قليلين ، وإنما كان الطرب والاستبشار هذان لأن الرجل من العربية في مصاصها ، ومن الوعي القومي فوق قمة الجبل .

وراحت صلاة هذا الحاكم تذيع تقواه ، وإن كانت في مثل صلاة الخائف وحديثه يذيع صلاحه ، وإن كان فيه بقية من روح عبد الحميد ، وراح أهل البلد يرون فيه رمزاً للحلم الضخم ، وينصتون إليه في إعجاب المقتون ، فهو عبقرى في السياسة ، وعبقرى في تعبئة الجيش وتحريكه ، وعبقرى في الإدارة حتى وفي الأدب والتأريخ .

وعاش الناس يحامون ، وعاش صاحبهم يحلم معهم ، وانقضى زمن ليست الموعظة فيه
انه مر طويلاً أو قصيراً ، وإنما هي فيما استفاق عليه الجمهور ، حين استفاق فاذا الرجل
يستخف بالتبعات والقانون والعفة جميعاً ، ويترخص في مهام الحاكم الزيه .

ثم أخذ يحرك لسانه فيرتجل المتنافسين على بابه ، ويمد سلطاناه فيدخل بين المرء
وزوجه ، ويتصل حتى بالشرطي وبالجلواز ، وتنسج ذمته للقروض التي لا ترد ، وللهدايا
وإن بذلت في سبيل لا تذكر إلا همساً ، وللبذر من المال يقدمها أغنياء الحرب الاتقياء
نفقةً لاسفاره في طلب المجد .

وكان من أثر هذه السيرة الصالحة ، أن استخف أعوان الحكومة بالتبعات ، فاجتازوا
الحدود حتى لقد صارت الرشوة شيئاً لا يلتمس له الخفاء .

وترعرع على بساط هذه الاباحية الخضراء نفر من التجار الصالحين ، وراحوا يزفون
القائمين على الأمر كما يفعل الحمام بفراخه ، فصار الحكم يستغل لا لصالح الشعب بل للمصالح
الذاتية ، وأخذت السلع تختفي ، والأسعار تفجش ، والثروة تنحصر في أيدي طائفة قليلة
من الناس ، ودأب هذا العيث ، وطال به شقاء الناس في البلد ، وأنت إن قلت أفسد هؤلاء
التجار أخلاق الموظفين ، قالوا : (إنها لفاسدة منذ يومها) أو قلت : غاضت دماء
المستهلكين ، أين الضمير ؟ قالوا : (إن هو إلا الاسم الاصطلاحي للجن) ، وإن قلت :
ألا صوت في طلب الإصلاح يرتفع الى السماء ! ممعت الهمس من حولك ، وليس غير الهمس .
قد تعلم بموت الاصلة عند إنسان من الناس فلا يثيرك أو يشجيك هذا الأمر كثيراً ،
ولكنك لا تعلم إلا أن تعجب وتحزن كثيراً حين تعلم بأن هذا الانسان أفسد بلداً ،
فصار التفوق فيه ؟ لا للمثل الفاضلة ولا للأخلاق ، أو للنزاهة ، بل للتفاق ولليد الطولى
وللنوم على القذى .

حسبك اليوم — أيها الصديق — ما ممعت من نبال القوم في هذا البلد ، وقد انتهت
الفرصة فاتصل بك ، لعلك تجد فيما أكتب اليك قصة للتسليمية ، أو للتاريخ إن شئت ، وسلام
عليك من .

— ٣ —

قال الراوي : —

وانقطعت أنباء هذا الشاب حتى انتهت الحرب وكانت الهدنة ، ورجع الجنود من فتيان بلده الى أهلهم ، فقص أحدهم بقية الحكاية فقال :

كان فؤاد موفور النصيب من هذه المعاني الأسيرة تجدها عند بعض الناس فلتة ، فذا تدعك إلا وقد أحدثت في نفسك حباً أو أحدثت لصاحبها عهداً . ورأته هنيئاً يتردد الى بيت رئيسه الضابط ، فوفقت عند نظرها اليه ، وراحت ترقبه في غدوه ورواحه ، وتتمتعين مرآه وتفكر فيه ، ولم تك بالعابثة تريد أن تلهو بأشواق الشباب زمناً يطول أو يقصر ، ولا بالجاهلة بعد ما بينها وبين الفتى ، بل لقد جاهدت جهاد المحصنات على قلبها ينصرف فعصى ، وظل على الشوق يحرق به في عناد وإصرار .

ومرت الأيام فاذا هي تعزم أن تبلو الفتى من قريب ، فتمضي فيما اعتزمت وتجري الصلة بينهما على اللقاء يتكرر ، والحب العذري يذكو ويتأصل ، والأحلام ترقى على مددا وتسبح ، والحديث يرق ويصفو ويعذب ، ثم ينساق الى حلم الزواج ، فما كانت تريد ، ولا هو كان يريد ، إلا على الطهر والسنة ، ولكنهما يجدان هذه العقبات يضعها الغنى والجاه والحسب دونهما ، فهي ابنة أولئك جميعاً ، وهو غريب غير معروف ، وأهلها لا يسمون بأمر ليس يحمل بهم .

ولا يقف بهما الرأي إلا قليلاً ، فاذا هما يوثران العبر والريث الى أن تستوفي الحرب أجلها فيخففان في بلد آخر زوجين حبيبين ، وأمتد حديث الأحلام بين هند وفؤاد ، فكان شجعاً حيناً ، وحلوا شهيداً حيناً ، بل فوق هذا وذاك كان علويّاً جرى مع الطهر ، ومما بالروح ، ثم انتهى كما تنتهي الآجال في هذا الوجود .

ودعته على أن يعودا الى نجواهما في لقاء مقبل ضربت له الفتاة الجريئة موعداً ، ثم خرجت قبله من المكان حذر العميون .

ولكن القضاء كان يتسم ، فلقـد كتب على شخص ثالث أن يقف دون ما قدرا للحياة السعيدة ، وكان هذا الشخص من ذوي لُحمتها ، تقدّم من قبل في طلب يدها ، فلم ترضه بعلاً لاختلاف ما بينهما في تناول الحياة ، ولم يكُ بالشئ الغريب أن يجعل من نفسه عليها عيناً . فلقد كان شاباً شريراً ، وصاحب حيلة وافتداه أوصلاه إلى مرها ، ثم إلى مكان خلوتها بصاحبها ، ثم إلى أن يستمع حديثهما من حيث لا يشعران ، وما بعدت الفتاة إلا قليلاً ، حتى كان قد ولج المكان على فؤاد ، فعاجله بطعنة نجلاء ، ثم أجهز عليه ، ثم جمعه قطعاً ، وجاء بحقيبتين ، فوضع فيهما أشلاءه وانتظر حتى أقبل الليل .

كان القاتل ومعه شخص آخر يحملان حملهما ذاك ، وكان الليل قد تقدم ، فباغتتهما العسس يتلصصان في مشيتهما ، فأمر بالوقوف ، ثم سئلا عما في الحقيبتين ، فما تلعثم القاتل الشرير وزعم أنهما هدية إلى الحاكم ، وإنما اختار لها سُدفة الليل حرصاً على ممعة الرجل ، ولم يكُ بالعسس من جرأة على المزيد في السؤال .

ويعمد الرجلان من ساعتها إلى كهف في ضاحية المدينة ، فيلقيان فيه بأشلاء الذبيح ، ويرجعان كأن لم يكن من الأمر شيء .
وتفقد الجيش فؤاداً فما وجد له أثر ، وتفقدته الفتاة فما علمت شيئاً ، وتفقدته والدته منذ انقطعت أخباره ، فما استطاعت أن تعرف اليقين من أمره .

واختتم المحدث كلامه فقال —

لم يكن قد مضى من الزمان غير عهد قريب حين فتح الكهف لغرض التفتيش عن الآثار فعثر فيه على عظام هي عظام صاحبنا الفتي الذبيح ، ولكن الموظف الخبير زعم أنها لانسان عاش في العصر الحجري المتأخر .

عمان — شرق الاردن —

شكري شعشاع باشا

كيف نعيش مائة عام

تلك آمانيهم . الناس جميعاً لعمر كلفون ، بالحياة . تمنوا أن تطول ما وسعها أن تطول ، ولو شابها النصب والوصب ، وعمها الأذى والكدر ، حتى لقد تمنوا الخلود ، فلما أعجزهم نيله على الأرض ، راحوا يطلبونه في حياة أخرى .

وقد بحثت الجمعية الطبية البريطانية أمر المعمّرين . فخرجت من نتائج بحثها بأن قصار القامة أطول أعماراً من متوسطيها وطوالها ، وإن المتوسطين وزناً ، أو دونهم ، هم كذلك أحظى بطول العمر من الزائدين وزناً .

على أنه إذا كانت هذه الحقائق العلمية لا مطمئن فيها ، فما هي بالقانون المطلق ، ولا أسنة العامة ، فإن لطبيعة الأشخاص ، وفطرة أمرجتهم ، تأثيراً كبيراً في طول أعمارهم أو قصرها . ذلك أنه من المقررات الفسيولوجية ، والتحقيقات العلمية ، أن الذين يعيشون عيش الارهاق ، دأبهم العجلة ، والوثبة ، يحملون أنفسهم على الجهد ، والعنت ، والاسراف في كل عمل ومأثي وحركة ، لا يعمرّون . ذلك لأن الحركة العنيفة ، والشعور المتوقد التأثير ، والعاطفة المسرفة ، كل أولئك باعث على افلات كياويات معلومة في البدن ، تلج الدم فتوقد جذوته ، فتتضاعف دقات القلب ، وتؤذى جدر الشرايين ، فيشتد ضغط الدم ، فتسوء الحال . وكلما تكرّر ذلك العنف والاسراف ، جلّ الخطب ، وضاق بساط العمر ، وقرض الافراط من أطراف الحياة .

كما أن للطعام وزناً كبيراً ، وشأننا خطيراً في جولة الحياة ودولة أطوارها ، وما تنعم به من العافية والسلامة ، أو تبلى به من علة وضمانة ، وغنمها من امتداد الاجل ، أو غرمها من قصره ، إذ أن حموضة الدم من جالبات الأمراض ، ومقصرات الأعمار . وما تستوطن الحموضة مراتع الدم إلا من تناولنا أطعمة غير صالحة ، أو يكون من طبيعتها توليد الحموضة والأطعمة القلوية مضادة لهذه المضرة ، وفي رأسها الليمون . وقد قال طبيب انجليزي مشهور غاب عنا اسمه :

« إذا أكلت كل يوم ليمونة أو ثلاثاً ، عند ما تكون ظمآنًا ، عشت طويلاً ، وحظيت بصحة جيدة » .

فليكن غذاؤك سهل الهضم ، قليل المقدار ، كثير الأملاح المعدنية والفيتامين ، وهذا ما يتوفر لك غاية التوفر في فج الخضر والفواكه . ولا تنس أن تجمع إلى هذا نفساً راضية ، وألاً تغمها بالهم والكدر .

وقد كنا قرأنا في تلفرقات الصحف عام ١٩٣٠ أن عالماً المانياً اكتشف طريقة لإطالة العمر إلى السبعين بعد المائة ، مدارها على أكل الأطعمة النباتية غير المطبوخة .

وذكروا أن أهل باريس في القرون الوسطى لهجوا بمنفعة الكسير كان قد صنعه رجل يدعى فيلار ، رغم أنه أخذ سرّ تركيبه عن عمه الذي مات عن أربل العمر . فمن تعاطاه ، بلغ سنّاً ، وامتدّ أجلاً ، حتى يسأم الحياة .

وكان يبيع الزجاجة الواحدة بستة ريالات ، وتوافد عليه الناس من كل حذب ينسلون ، يلقفون الزجاجات في لهفة الواله المشتاق ، حتى أترى الرجل وكان من المتفرّفين . قيل وزن لأحد الكيماويين أن يكشف دفين هذا الشراب ، فما زاد ، إذ حمله ، أن علم أنه ماء صرف من نهر السين في فرنسا قد خولط بقليل خل وحببات من ملح البارود ، وكان الناس ، مع هذا ، إذا تناولوا كسير السيد فيلار ، تطول أعمارهم حقّاً ، لا أكسيره في ذاته ، ولكن لما نقل عنه ، إنه كان يوصي المتعاطين أكسيره ، بلزوم الاعتدال في المطعم والمشرب .

وبعد فقد اطلعنا على مقال نفيس في موضوعنا هذا ، طلبه النفوس وعُلالة الأذهان ، بقلم الكاتب الفرنسي المعروف ، أميل هينريو ، في جريدة (الطان) الفرنسية ، فاستملحنا نقله اقراء (المقتطف) الأفاضل ، فإن فيه فائدة ، وإن فيه تفكهة . قال :

« مما يبعث على السآمة . وكراهة بلوغ المائة ، في من أشرفوا على هذه السن ، هو تشابه السؤال ورغبة الاستطلاع ، من كل من يلقيهم من الناس . فما ترى السائلين إلا يسألونهم سؤالاً واحداً لا تبديل فيه ولا تعديل : « كيف يا هذا ، صنعت ، حتى بلغت المائة ؟ » . تشابه السؤال ، واختلف الجواب : فأخو مائة يجيب : « ما أقلعت يوماً عن التدخين ،

والحجرة، وأكل اللحوم الحمراء، مبلغ الجهد. « وأخو مئة غيره يقول: « ما شربت قط غير الماء القراح، ولا ذقت إلاّ النعكة خالصة ». ألا فليهنأ أولئك المساكين الذين امتنعوا أن يعمروا ما أصابوا من حظ وتوفيق الى ذات فظفتهم، وما أوتوا من حكمة! ولو أنه كان للمعمرين مدرسة، فما أظنها تكون واحدة، ما دامت الوسائل متعددة.

وبعد. فهل من المستحب بلوغ المائة؟ انك لتجد كثيراً من الناس، إذا خالجتهم هذه الفكرة، أوجسوا منها خيفة، ما أراهم، لعمري، إلاّ حرموا نعمة الخيال. فهم لا يفقهون إلاّ الحاضر، ولا يقيمون وزناً إلاّ ليومهم الذي يعيشون فيه، ولا مهناً عندهم إلاّ فيما ملاكه الحياة الناشطة الجاهدة الفنية، الناهضة الجناح، ولا يستطيعون أن يجدوا أنفسهم قد استحالوا، وأصارهم كره الليالي الى غير ما كانوا عليه. وبخلاف ذلك ترى الذين بلغوا المائة هائنين بما عمروا، ولا أشهى عندهم من دوام العيش وطول البقاء، ويستفرغ عجبك ما هم فيه من التفاؤل والاستبشار، وإن كان هذا، مع ذلك لا يستغرب ولا يستغلق على العقول، إذ أنهم لفرط ما عاينوا وشاهدوا، لا يكثرثون إلاّ قليلاً بما يسوونهم، أو بما اعوج من أمور الدنيا، وصاء من سلوك الناس، وبما يؤثر فيهم في غضاضة الشباب، من الذين هم أقل منهم فتوراً وتبلداً.

ليت كان بيدي الآن إحصاء للمنتحرين، فلستَعْلَمُ إذاً أن الزاهدين في الدنيا المستنقلين الحياة هم في الغنيان أكثر عدداً منهم في الشيوخ، ولعلمهم إنما تطاولت أعمارهم وتشبهتوا بحبال الحياة، لأنهم ولدتهم أمهاتهم متفائلين.

أما كون التفاؤل والاستبشار شوطاً لازماً لطول العمر، فما ذاك ببدع. تلك حقيقة أكل الدهر عليها وشرب، ولكنك، على كل حال، تقرّ عينك أن تعلم أن تلك الحقيقة قد تجلت مسندة، مدعومة بأبراهيم العلمية في كتاب صنعه الدكتور جورج لاكوفسكي، يرد فيه طول العمر الى أربعة شعب: أولها وجوب إرادة ذلك واستشعار اليقين بإمكانه، وجوب عدم الخوف من الموت، والايمان بالحياة الباقية، وجوب ألاّ يكون الانسان غيوراً حسوداً، ولا شريراً خبيثاً، وذا، ولا ريب، أشق هذه الأمور وأعظمها. ويجب، مع هذا، أن تكون النفس راضية قانئة، وذا ما لم يؤت اليوم جميع الناس، والذي نرجوا

من سبل العيش ، وأخذوا بأسبابه ، وما ذاقوه من جديد الحياة وطريقها . والطبيب النظامي لا كوفسكي يضرب لنا مثلاً بفونتينسل^(١) الكيس ذي الحلم ، والنفس الراضية الهادئة ، الذي استطاع أن يعيش قرناً كاملاً ، دون أن يعاني أية مشقة أو صعوبة ، والذي كان يفسر لك ذلك الفتح المبين في باب التعمير بقوله : « انما كبرت سني ، لاني لم أكن ، في يوم من أيام حياتي ، مهزولاً ولا غاضباً » .

ولئن كان ذلك ، فما أجداً أحد منا يستطيع الى هذا بلوغاً . عز ذلك وامتنع . انها خطة لا يمكن العمل بها في يومنا هذا . عبتاً نحاول ألاَّ نجري ، فان هذا الزمن الذي نعيش فيه خليق بأن يدفعنا الى الاسراع والعدو دفعاً شديداً .

أما أن لا نغضب ، فليت شعري ، ما الوسيلة الى بلوغ هذا؟ هيئات ذلك ما لا ينهض به الرجل الشريف ، والمرض الكريم . ان كل ما تقع عليه أبصارنا من أمور هذا العالم بعيدة كانت أم قريبة منافع للاخلاق ، مخزٍ للعدل ، مدبر عن الحق ، مستهجن ذميم ، سخيف دنيء لا يقوه العقل الرشيد . فكل شيء مما نسمع أو نرى من أنباء العالم ، وشؤون الناس يُسَمُّ ويؤذي ، تثور له النفوس الكريمة ، ويستهجنه ذوو الالاباب . فكيف لعمرك ، السبيل الى التزام السكينة . مع هذا ، وأنى لك التجلد وعدم الاكتراث ؟

أما إن استطاع امرؤ احتمال هذا الاضطراب الشامل ، ووسعه أن يكون رابط الجأش مجللاً بالوقار والسكينة ، فقد احتاج اذاً الى مقدار من الجهد العنيف يفت في عضده وينهك قواه . أليست حكمة فونتيل التي مكنته من بلوغ المائة قد صانته عن المضِّ والمعض ، بأن جعلته بمعزل عن أمور الناس ، وشرور الناس ، وآلام الناس ؟ فما يتأتى ذلك الا لمن جنح الى العزلة ، وقرر نفسه على الابتعاد عن معارك الحياة ، والانتقطاع عن ملاهي الحياة . فقد دلت الاحصاءات على ان من صمروا كانوا من البابوات والقسيسين ، ورجال العلم . فن استطاع أن يكون منهم أو مثلهم ، وراض نفسه على ما نهجوا ، فله المهنة بطول العمر ، ومبلغ المائة كاملة وافرة .

اصمحر أبو الخضر مفسى

(١) أديب فرنسي بارع وعالم متبحر في القرن الثامن عشر . وكان كاتب سر الجمع اللغوي الفرنسي الى يوم وفاته . مات في سنة ١٧٥٧ عن مائة عام وافية وافرة .

دلائل الخيرات

— اسمعي يا حورية .

— نعم .

— أتذكرين قطعة أدبية قرأناها معاً سنة ١٩٣٤ ، اسمها « في النار ولا تحترق » لرافعي ؟

— ماذا ؟ .. في النار ولا تحترق ؟ ... أوه .. أجل أذكرها .. أذكرها بالضبط ،

قصة الراقصة المتدينة التي أرغمتها الحياة على التبذل والرقص مثلنا في الليل أمام الناس لقاء أجر تقنات منه هي واخوتها الصغار ، ثم تذهب بعد ذلك فتمضي بقية ليلها — بعد أن

تتطهر — في الصلاة والتعبد والاستغفار ..

— بالضبط يا حورية .. بالضبط .. إنك تذكرينها جيداً ..

— وهل ننسى أمثال هذه الروائع التي تتصل بحيواتنا الأسيفة الأليمة ؟ اننا يازينات

مهما نسقط ومهما نهوى ، فينا من ميزات الناس !

— لست أقصد الى هذا من تذكيري لك بهذه القطعة .

— اذن الى أي شيء تقصدين ؟

— فريد .. فريد قائد فرقة الجاز باند الجديد .. هذا الفنان الذي يحيا بيننا . انه يمثل

تماماً حياة هذه الراقصة التي عناها الرافعي وصورها لنا في مقطوعته : « في النار ولا تحترق » .

— فريد وراقصة الرافعي ؟ كيف هذا ! انني لا أفهم عنك . حقاً إن المايسترو فريد

رجل مستقيم ، ولكن ما صلته براقصة الرافعي ؟

واعتمدت زينات في مجلسها وأشعلت سيجارة هافانا فاخرة وقالت لزميلتها حورية :

إن نمرتك ونمرتي أنا أيضاً لن يأتي وقتها الاّ بعد الساعة العاشرة والنصف ، ونظرت

الى الساعة في معصمها وأردفت تقول : والساعة الآن التاسعة والنصف ، فأمامنا ساعة

كاملة احدثك فيها عن المايسترو فريد ، خذي هذه السيجارة .. قالت ذلك ومفقت بيديها

فحضر الساقى فطلبت منه أن يحضر كأسين كبيرتين من شراب البيرة المشلوج . ثم عادت للحديث مع صاحبتهما ووجهها للسماء ، قالت :

— إنني أعرف فريداً هذا من عام ١٩٣٢ حين كنت مبتدئة في حياتنا الصاخبة المعربة هذه ، في ملهى بدیعة بالجيزة الذي كان معروفاً باسم «السمر فوليز» وكان رئيس الأوركسترا يأتي في كل ليلة ومعه فريد هذا ومنه إذ ذاك حوالي السادسة عشر فيجلسه الى جواره يعزف على الكمان ، وكنا جميعاً نسأل رئيس الأوركسترا عن هذا الشاب العازف الصغير ذي الصورة الجميلة وعن سبب احتضانه له ، وكانت بعض زميلاتنا الخبيثات يتهمن الرجل بأنه يعشق ذلك الفتى . ولكن الحقيقة أن فريداً هذا كان ابن شقيقة الرجل فكان يحضره معه يدرّبه على العمل ويقدمه في الأوساط الفنية ، وكان لفريد من نبوغه وحبه لفنه ما جعله يتقدم تقدماً لفت إليه أنظار رواد الملهى . . . ولكن حادثاً وقع بين مدير إدارة الملهى المتعجرف وبين الفتى جعل الفتى يثور ولا يحتمل غطرسة هذا المدير . ويرد إليه إهائته بأضخم منها أمامنا جميعاً ، ثم يدع الملهى ويخرج ولا يعود إليه بعدها أبداً . . . وكنا نسأل عنه خاله رئيس الأوركسترا فآناً يقول إنه يعمل في السكيت كات . وآناً يقول إنه يعمل في البيروكيه أو غيرها . . . إلى أن كنا في عام ١٩٣٨ وكنت مع صديق لي في ملهى الكارلتون باسكندرية ، وما كان أشد ضروري حين رأيت الفريد هذا منتصباً بقامته المديدة وشعره الناعم يتهدل على جبهته العريضة الناصعة ، يقود فرقة الجاز . . . وصديقني ياحورية ، لم أملك نفسي — حين رأيته — من الاندفاع إليه عقب انتهائه من عزف مقطوعته وتحيته بحرارة وشوق أثارتا حقد صديقي الذي كان معي . وبقيت على تقديره والإعجاب به طوال ذلك الصيف . وأشهد ياحورية ، لقد كان هذا الفتى الفنان طاهراً عفاً نقيّاً ، ولطالما انتظرت كثيراً أن يغالني أو يدعوني — كغيره من زملائه — الى مشهورة خاصة بعد العمل . فأبدأ أبداً يا صديقتي ، لقد كان ماسكاً وكان شاذّاً في وسطنا هذا الموبوء المليء بالرجس والآثام . . . تماماً ياحورية ، لقد كان كما قال الرافي ، في النار ولا يحترق . . .

وقطع حديث زينبات قدوم الساقى وطلبها لمقابلة أحد أصدقائها المؤثرين ، فقامت معه

بعد أن اعتذرت لزميلتها ، ولم تلتقيا إلا على خشبة المسرح وهما تؤديان فترتيهما . . وبعد أن فرغتا من عملهما وذهبتا إلى حجرتيهما تخلعان ثياب الرقص وترتديان ثيابهما العادية ، أقبلت حورية على زينات في حجرتها تستحضرها للإسراع والخروج لتتم لها حديث فريد . ولكن صديق زينات الثري كان بانتظارها في سيارته . وبالطبع اعتذرت زينات في رقة لزميلتها . .

ومضت الليلة وحورية تفكر في حديث هذا الفريد الذي تهتم به صديقتها ، وماذا عساها تكون حياته تلك المحفوفة بالنار ثم لا تحترق ولا تؤثر فيه النار ؟ . . وفي الليلة التالية ، في نفس المكان والزمان ، أقبلت زينات على زميلتها حورية تحدثها عن جولاتها بالنهار بمحلات الأزياء وغيرها مع صديقتها الثري الأبله . ولكن حورية كانت في غنى تام عن مسمع هذا الحديث المعتمد فقالت لصاحبيتها : دعينا من هذا وحدثيني عن بقية حديث صاحبك فريد .

قالت زينات : آه . . إنك على حق . ثم أخرجت سيجارتين . أشعلت واحدة لنفسها والثانية لزميلتها وطلبت من الساقى قدحي قهوة . . وأحضرت القهوة واختلط دخان السجائر ببخار القهوة واعتمدت زينات رأسها بيمينها وراحت تحتسي القهوة وتجذب أنفاساً عميقة من سيجارتها ثم بدأت تقول : — حقاً . لقد عجبت لقفوات هذا الفنان السريعة من طازف صغير على السكبان إلى قائد أوركسترا فخمة في ملهى نغم كملهى كارلتون . . وعدت للقاهرة . . وما عدت أسمع عنه شيئاً قرابة سبعة أعوام إلى أن كان يوم أول مايو الماضي وكنت راكبة ترام الجزيرة وكان الترام يسير مندفعاً نحو الجنوب على شاطئ النيل في جهة فم الخليج حيث النيل على يمين الطريق . وعلى يساره مباني تلك الآثار الضخمة الشاحقة التي بناها صلاح الدين الأيوبي لينقل عليها الماء من النيل إلى القلعة ، وعلى حافة النيل في تلك الجهة أشجار التين الهندي الضخمة المتشعبة يستظلها الناس وقت المسيرة ويتراكون تحتها في كثرة واختلاط يشوهان جمال هذه البقعة العظيمة ، فهناك الأمفال المزدحمة والمتسولون

وباعة الفاكهة والاغذية القذرة والحلاقون الذين يفترشون التراب والعمال العاطلون وغيرهم وغيرهم من المتسكعين . . أوه يا حورية . . في هذه الجهة ، والترام يسير سريعاً ، كانت عيني على كل ذلك وجأة لمحت ، في غمار هؤلاء الناس ، فريداً . . أجل فريد بعينه قائد أوركسترا ملهى الكارلتون الذي لم أره من ثماني سنوات . . هو هو بعينه . . عرفته رغم أنه كان يرتدي ملابس متواضعة جداً — منامة منزلية من قماش شعبي رخيص فوقها سترة . . ولست أدري ما الذي حملني على النزول من الترام حين وقف ، والعودة الى هذا الفريد . . إننا يا أختي على الرغم من ميلنا للرجل المرح الفاجر المتلاف وتفضيله على غيره من الرجال المتزين المستقيمين ، نميل في أعماقنا الى الرجل المستقيم الفاضل حتى ولو لم يكن هناك أمل أو مطمح لنا فيه . ونزلت وعدت الى الوراء نحوه . حتى صرت قبالة . . إنه واقف أمام عربة صغيرة قذرة عليها وريقات صفراء هزيلة هي بقايا كتب قديمة يعرضها للبيع رجل أشيب ، ووقف حولها بضعة من الناس يقبلونها وينتقون منها ما يروقهم ثم يسامونه على ثمنها . . ولما صرت قبالة فريد ، وقفت مبهورة ولم أجروء على محادثته حتى رفع هو عيناه ووقعنا عليّ فما اهتم بي ، وعبرني بنظره إلى ما كان بيده من هذه الكتب القديمة ، ولم أطق صبراً فنادينه . أستاذ فريد . فالتفت نحوي ثم جاء إليّ يميني بفتور ، ولكنني ضعفت يده بحرارة وشوق وقلت له : أين أنت يا رجل كل هذه السنوات الطويلة ؟ وتتم بقوله : في الحياة . قلت له ما هذا الذي في يدك ؟ قال ، انتظري حتى أعطي الرجل ثمن الكتاب . وبعد أن حاد سأله عن الكتاب الذي معه وجذبه - أعني الكتاب - من يده وقرأت عنوانه ، « دلائل الخيرات » فقلت له : ما معنى هذا ؟ فابتسم وقال : إسم كتاب . قلت : ما ذا فيه قال : كلام يقرأه الناس المتدينون قبل الصلاة وبعدها فيه عبادة وتوصل الى الله واستغفار من الذنوب والآثام ، وعقب ففتح الكتاب وأخذ يقرأ منه كلاماً ضحكت منه كثيراً ومع ذلك لا أنكر يا حورية أنني كنت أحس له وقفاً في أعماق نفسي . . .

وطال بنا الحديث ونحن وقوف الى حاجز الشاطئ الحديدي . . وقصّ عليّ فريد حديثاً عجيباً . قصّ عليّ كيف نجح في الاكندرية نجاحاً باهراً وكيف أنشأ ملهى فخماً للموسيقى ملأت الاكندرية ممتعته ونجاحه الكبير . وقصّ عليّ كيف كان معارضاً

لنفسه في ان
وصار ملهى
نفسه بهذا
واستقامته
يدير ملهى
أجل هو ينف
واحد لم ير
النساء . . الله
قوآداً . . و
له وعدم حما
المشروع الع
أثاث الملهى
أكبر الخسر
المتواضع في
عبادته وفنه
وتأثرت يا ح
المشهدج كأ
أخيراً يا سيد
المحرم ، وأمر

ولم تك
المنهل من ع
مالها الليلة ؟

لنفسه في انشاء هذا الملهى الذي كان يزيد له الموصيق فقط ، فأزاق حتى باع فيه الجور وصار ملهى تقتل فيه الفضائل ويغشاه الجنود والراقصات . . وقال لي فريد : انه كان يعد نفسه بهذا العمل خارجاً على ناموس الفضائل وقواعد الاجتماع النظيفه ، وان أخلاقه واستقامته كانتا تنقصان عليه حياته وتجعلانها جحيماً لا يطاق . . هو الرجل المستقيم الظاهر يدير ملهى للرقص والحمر والذيلة ؟ . ويدفع أيضاً الرشا لرجال الأمن وحماة الآداب ؟ . . أجل هو يفعل هذا ، وهو نائر على نفسه غير راضٍ عنها من أجل هذا . ولكن شيئاً واحداً لم يرض أن يفعله ولو قد فعله لارتفع وارتفع . هذا الشيء الذي لم يفعله هو تقديم النساء . . النساء كلون من ألوان الرشوة . . أبداً . . أبداً لا يقدم النساء . وأبداً لا يكون قواداً . . واذن فليعرض الملهى لمعاكسات رسمية واضطهادات صافرة وتحرير مخالفات له وعدم حمايته وحمايته ملهاه من عبث الجنود المعربدين واذن فليخسر وليخسر . . وليفشل المشروع الضخم بعد نجاح كبير . وليصفي الفنان حسابه وليحجز أصحاب الديون على أثاث الملهى وليخرج فريد هذا الفنان الكبير من الاسكندرية كلها كما دخلها خاسراً أكبر الخسران في هذه الأيام التي أترى فيها حتى الحيوان . . . وليعد الى بيته القديم المتواضع في عطفة السكر والليمون يرعى اخوته وأهله بعد موت أبيه ويرعى مع ذلك عبادته وفنه . . ثم يدعى للعمل قائداً للموصيق في ملهانا هذا الذي نعمل فيه . هكذا حدثني وتأثرت يا حورية وسال دمعي وفريد يقص هذا الحديث . كان يومها يتحدث وصوته المتهدج كأنه لحن صماوي منبعث من قيثارته فيهتز له كياني . وختم حديثه بقوله : وأيقنت أخيراً يا سيدتي ، وبعد كل هذا ، أن ليس للانسان إلا عمله الصالح . أما الرجح الطائل المحرم ، وأما العبث الفاجر : وأما الاستهتار بالفضائل . . أما كل هذا ، فيذهب جفاء . .

ولم تكذ زينات تفرغ من حديثها حتى كان طلاء وجهها ، قد أتلفه ذلك الدمع الغزير المنهمل من عينها السوداءوين الجميلتين ! . وحلّ موعد عملهما فقامتا اليه . ولكن زينات ! مالها اليلة ؟ وماذا أصابها ؟ ما هذا الجود والنقل في الحركة ؟ ثم ماذا أصاب جمهورها المعجب

بها؟ إنه لا يصفق لها كثيراً على عادته ولا يطلب تكرار نبرتها مراراً كما يفعل كل ليلة قبل الليلة؟ أو... وما لروحها لا تتصل بأرواح جمهورها ولا تؤثر فيهم؟

في اليوم التالي وفي وقت الاصيل ، كانت حورية تجلس في شرفة الملهى تنتظر صديقتها زينات وكأنها تنتظر حدثاً ذا بال .. وأقبلت زينات .. فأى إقبال هذا ؟ .. زينات ، الفتاة المرحلة للعب الطروب الرافضة الفاتنة ، تمشي على استحياء ! وعليها مسحة من جلال ومهابة ! .. وحورية ؟ حورية هي الأخرى ، ماذا دهاها فألجها عن استقبال صاحبتهما بعداعباتها الغزلة الماجنة كعادتها ؟ .. وفوجئت حورية زينات تحميها تحية جافة جادة : السلام عليك . ولم تشفق حورية ضاحكة ولا ساخرة من صاحبتهما وإنما ردت التحية في وقار وجفاف ، أرغمت عليهما إرغاماً .. وجلست زينات وطلبت قهوة وراحت تحتسيها مع صاحبتهما في سكون وصمت . ثم قطعت زينات الصمت بقولها : وبعد ، فياحورية ، لقد أتيت الآن لأودعك أيتها الرفيقة الحبيبة وأتمنى لك ولحياتك ، هذه الصاخبة الماجنة ، نهاية قريبة سعيدة ، كنهائتي . قالت حورية على الفور : أية نهاية ؟ خبريني يا اختاه . أسيئزوجهك صديقك الجديد الثري ؟ قالت زينات : صديقي الثري ؟ .. كلاً يا صديقتي ، إنه صديقي الفقير المستقيم .. لقد انتظرتُه أمس بعد انتهاء العمل وصحبته الى منزله وأمضيت معه وقتاً طويلاً نقرأ في كتابه « دلائل الخيرات » .. يا صديقتي لقد آمنت معه .. آمنت بقوة أن ليس للانسان غير عمله الطيب وصفاء نفسه .. وآمنت معه بشدة أن الموسيقى والدين - كلاهما - يسموان بالنفس وينقيانها من الشوائب والأدران ، وأنهما يطهران الروح ويعلوان بها إلى عليين .. سأتزوجه يا حورية .. وسأحيا معه للدين والموسيقى .. لقد اتفقنا على ذلك .. وسأبقى معه في منزله المتواضع ، لا أبرحه أبداً ..

ثم قامت سريعاً ، وقبلت صديقتها ، وتركت الملهى إلى منزل الزوجية .. الى منزل فريد الموسيقىار حيث الظهر والاستقامة و .. كتاب دلائل الخيرات ..

محمد طلبة رزق

السي
رد
الأمريكي
الشرق
أما
المهاجرين
من أعظم
وممتلكات
المكتبة
وما
السورية
العلم ، مو
سنة ٨٠
ولا
خيري
جز

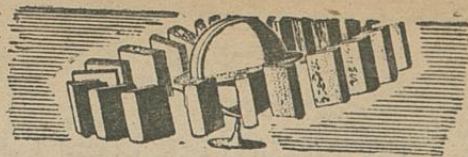
٢٠٠ ألف دولار

تبرع لبناني لمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت



السيد ريكاردو يافت يقدم الى الدكتور فيليب حي تحويل مبلغ ٢٠٠ ألف دولار لهذه المؤسسة
 تردد نبال الهبة التي جاد بها ورثة المرحوم نعمة يافت اللبناني لبناء مكتبة في الجامعة
 الأمريكية ببيروت وهي مائتا ألف دولار. وقد وصفها مكتب جمعية الكليات الأمريكية في
 الشرق الأدنى بأنها أكبر هبة في سبيل العلم جاد بها مهاجر من أصل عربي.
 أما الواهبون فهم أرملة المورث وأولاده السبعة. وكان المرحوم نعمة يافت من أثرياء
 المهاجرين اللبنانيين الذين توطنوا البرازيل وتعد الشركة التي أسسها باسم شركة يافت وأولاده
 من أعظم الشركات الصناعية التجارية في البرازيل ولها عدة فروع، ومن مؤسساتها
 وممتلكاتها مصرف ومنجم ومصنع للغزل والنسيج لا نظير له في تلك البلاد. وستعرف
 المكتبة باسم مكتبة « نعمة يافت » وتكون أول منشأة تحمل إسمًا عربيًا
 وما يذكر عن المورث أنه ولد سنة ١٨٦٠ في بلدة الشوير ببلد لبنان، وتخرج في الكلية
 السورية الانجيلية ببيروت، وقد أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية. وكان من رجال
 العلم، مولعًا بعلوم الرياضيات وله مؤلف في الحساب وقد أسس الأكاديمية الشرقية ببيروت
 سنة ١٨٨٠ وهاجر الى البرازيل سنة ١٨٩٣ وتوفي فيها سنة ١٩٢٤.

ولأسرته شهرة في أعمال البركشهرتها في أعمال التجارة. فلا يخلو مشروعه وطني أو
 خيري في البرازيل من أثر كرمها. واعترفت بلدية ساو باولو بفضائلها فدمت شارعًا باسمها.



مكتبة المقتطف

١ - صحائف مطوية

لمعالي احمد لطفي السيد باشا

لهذه الصحائف أكثر من جانب يمهّد لها سبيل البقاء، ويخّلع عليها هذه الحلة التي تصل بينها وبين القلوب، وتجعلها محط العناية من الأذهان المتعطشة إلى هذا المنهل التاريخي للارتواء منه، لأنها الإطار الذي يضم صورة رائعة من التاريخ المصري. ونموذج من تلك الحوافز التي تستثير الأمم. فتنب صارخة في وجه من يأخذ عليها طريق الحياة الحرة الكريمة، والذي يعطي هذه الصحائف كل هذه الأهمية. أنها سجل دقيق لهذه الحالة النفيسة، والشعورية، والعقلية، التي تلبست هذه الأمة في فجر نهضتها، ولا يرمى الكاتب بالمغالاة عند ما يعلن. أنها سجل صادق لهذه الفترة، لأنها قد كتبت تحت تأثير هذه العوامل والحوافز، وصورت بهذه الألوان الشعورية النفسية التي كانت تعمل الظروف على تلوينها من يأس، ورجاء، وتحفز، وإستنهاض، ومقاومة لحجج طاغية، ظالمة، وتفنيد لمزاعم، والمصاولة في ميدان الرأي، ولا شك أن هذا الصراع الخفيف، المريب، يأخذ أكثر ما يأخذ دائماً من تلك النفوس التي تمتاز بالاحساس المرفف، والقلوب التي تزخر بالعواطف الوطنية الانسانية، والخواطر التي تحيش بمختلف النوازع الانسانية الرفيعة، وهل تنال هذه الأحداث من شخصيات ما تناله من تلك الشخصيات. ذوات المذاهب الملتهبة، وأصحاب المثل العليا في الحياة، فوقف - لطفي باشا - من تلك الثورة التي أشعلت كل شيء. موقف لسانها الناطق، وفلها المسطر، ومصورها الحاذق، ولا يتنبأ الوجدان الحي،

المبدع ، لنقل هذا الجو كله ، كما يتهيأ لمن يستوحيه ، وهو تحت تأثيره ، ويستعمله كل ما يمكن أن يملكه ، أو يوحيه ، مما يطبعه بطابع خاص ولون لا يحول ، فجاءت هذه الصحائف مرجعاً ، أميناً لمن تهفو روحه ، ويتطلع ناظره إلى مشاهدة تلك الفترة العصيبة الحافلة ، في تاريخ الأمة المصرية . فكم يعاني المؤرخ من المتاعب ، ويتحمل من الجهود عند ما يحاول التآريخ لفترة ، أو يرسم صورة لحقبة من الحقب . قد باعد بينه وبينها الأمد ، واستطاعت الحوادث المتدفقة ، المتغيرة ، المستمرة . في غير هدوء ، ولا هواده ، ولا كلال ، أن تطمس كثيراً من الألوان التي كانت برّاقة في حينها ، ويعنى على معالم كان لها بروزها في ماضيها ، وشخصيتها في ميدانها ، وأن تبرز أخرى بفعل الزمن ، ومخلوقات الظروف والمصادفات ، وما تعمله البيئـة التي هو ثمرتها في عقله وخياله ، وحكمه على الأشياء ، وتصوره للحوادث مع الاختلاف الذي يكثر حيناً ، ويقل أحياناً ، فهما كانت استعمائته بما بقي بين يديه من المواد التي يريد البناء منها ، واتخاذها وصيلته ، ومهما يجهد في تخلصه من بيئته ، ومحاولة إندماجه في العصر الذي يريد تصويره يشط منه كثير من الأوابد التي تستعصى على الغيد ، ويمر عليه أيضاً كثير من الدوافع ، والبواعث التي كان لها سلطانها ، ثم دالت دولتها ، وغفى عليها النسيان ، أترى لو أن قلماً من هذه الأقلام التي لم تلبس هذه البيئـة ، وتعيش مع هذه الأحداث في ميلادها ، وطفولتها وشبابها : يستطيع أن ينقل اليك هذه الصورة التي نقلها إلينا قلم - لطفي باشا - ليس هذا في مقدوره ، ولا طوع إرادته ، وما هو قلم لطفي ؟ وما ذهن لطفي ؟ وما منطق لطفي ؟ وما آثران لطفي ؟ وما ثقافة لطفي ؟ إن هذه الخصائص ، والمواهب التي تحملكها هذه الشخصية لعز مثلها كثير في كل أمة ، فكل شيء يركي هذه الصحائف . فليس هو بالقلم الهزيل ، ولا بالذهن السكليل ، ولا بالمنطق المعتل ، ولا بالثقافة الضعيلة . بل تدا من كل هذه الجوانب على أكمل ، وأتم ما تكون هذه المواهب ، هذه بعض الجوانب العامة ، ولهذه الصحائف جوانبها الأخرى من حيث الكشف ، والابانة عن ناحية من نواحي عبقرية - لطفي باشا - هذه العبقرية التي هي خليقة بالدراسة ، والتحليل ، وفاءً بحق التاريخ وأمانة نسائها للأجيال المقبلة وضناً بهذه الشخصيات التي لها في التراث الانساني ثمرات ناضجة ، وفي توجيه أمتها أعظم الأثر ، بهذه الرمالات القيمة التي أدتها ، وتحملات عبثها ،

وهل يتهدى للباحث أن يقدم ترجمة صادقة دقيقة ، لشخصية لطفي باشا — إذا ظلت هذه الجوانب محجوبة ؟ أليس المترجم لشخصيات تاريخنا العالمي ، أو الأدبي يصطدم دائماً بهذه الصخرة التي توهمي قرن كل من يحاول كتابة حياة . ما دامت تقف حياله هذه المعضلة . معضلة اختفاء جانب من جوانب شخصيته الفكرية وضياح أثر من آثاره ، أيستطع مثلاً مؤرخ أن يزعم بأن في مقدوره إعطاءنا ترجمة وافية بكل جوانب شخصية مثل — الجاحظ — ما دامت بعض آثاره لا تزال في طي الخفاء ، أليس هذا المذهب يحمل كثيراً من الصواب عند ما يعلن ضرورة اتخاذ آثار الرجل مفتاحاً لشخصيته ؟ لأنها هي السبيل الوحيد ، المأمون لمعرفة هذه الشخصية ، وللاستاذ الكبير — اسماعيل مظهر — جهوده الموفقة ، المشكورة في سبيل تزويد الجيل بثمرات أستاذ الجيل ، أمد الله في بقائه ، وأعانه على تأدية رسالته — الارسططاليسية — التي يجاهد في تبليغها ، والتي يقف عليها أنضج أطوار عقله لتمكين جيله من معرفة — أرسطو — وتذليل الصعوبات للانتفاع به .

٢ — الرسالة الخالدة

لمعالي عبد الرحمن عزام باشا

قوبلت هذه الآراء القيمة في أصول الدعوة الإسلامية التي ضمنها — معالي عزام باشا — رسالته الخالدة . وتناولها لمسائلها بهذا الأسلوب الدقيق الطلي ، وإقامة الأدلة على صلاحيتها للأخذ بيد الإنسانية المتعثرة الحائرة في مهب عواصف المذاهب المتسلطة ، وإعلانه ألا ملجأ لها بعد أن نالت منها الشدائد ، وأهوت قواها الحروب ، واستنفدت مذخورها الأهوال ، إلا الاعتصام بهذا المرفأ الأمين المريح ، مرفأ الشريعة الإسلامية ، وقد قابلت الأمة هذا النداء بما تقابل به الدعوات الحبيبة . التي تبتعث الحين بعد الحين ، فكأنها تنفخ عن كل قلب ، وتهدي كل خاطر ، وترد طاذب كل أمل ، فالقول بأن الرسالة الإسلامية ، رسالة إنسانية عامة تتطلبها كأحوج ما تكون إليها ، أصبح من البدائيات التي تنزل من القلوب منزل الإيمان الراسخ ، وكل ما يهفو إليه العالم هو رفع هذه الغشاوة ، وإزالة هذا الصدا عن تلك التعاليم التي طال ثواؤها تحت الأتربة التي كدستها فوق بريقها ، وأثارت السحاب على

وضاعتها الحن ، والنكبات التي اصطلمت على المجتمع الاسلامي ، ووكلت به كل شر ، وأنزلت بروحه من الفوادم ما تركه مهيباً ، واهي القوى ، ينوء تحت عبء الاعياء ، وبات روحه ضاويًا هزيباً ، من طول معاناته ، ومغالبتة ، وصموده ، حتى إذا هتف الصوت الذي يبشرهم باقتراب فسكاهم من إسارهم ، وبالنور من ظلامهم ، تلقفته الآذان في شوق ، وتجاوبت بألحانه الأفتدة في ولع ، وأخذتهم نشوة من يستشعر ديبب القوة يسري في أقطار جسمه ، وإعناء كيانه ، فأثر أمثال هذه الدعوات لا تحده الدائرة الفكرية ، ولا نستطيع أن ننشر الجوانب العقلية كله ، بل هو يفيض ، وينال في أطواء الشعور ، ويتدفق لطيفاً ، هادئاً ، منعشاً في ثنايا الاحساس ، وتنبض به الآمال الداوية ، الذابلة ، فاذا ما أخذت الأمة تنفعل من هذه النواحي ، وتحيش عواطفها من هذه الطرق ، وتدب الحياة قوية في نوازعها بهذه الأساليب ، فقد شاعت فيها روح الشباب ، وامتلات بعنفوانه ، وتأملت بهجته فاذا ما استطاعت الدعوات أن تنقل الأمة هذه النقلة ، وتفيض على روحها من هذا الفيض فقد أدت خير ما يمكن أن تؤديه ، وما كان يعوز تلك الرسالة وقد أخذت تنقشع الغمة التي طالت ، وثقلت ، غير هذه العقليات التي زودت بألوان الثقافة ، وأكسبتها التفكير الطويل والتجارب المتعددة والقدرة على النقد ، والتمييز بين الصحيح ، والسقيم ، من الأفكار ، وإن تبد بصرها لاستبطن هذه النظم التي تسيطر على العالم ، وتكيف موقفه ، وتتحكم في مصيره ، فاذا ما رزقت الدعوة المحمدية هذه القرائح والاقلام لتقدمها برئة من الشوائب التي تشوبها وتدفع عنها تحجي الظلم ، وتقيها اجحاف الطغيان فقد استطاعت أن تسترد موقفها وتتابع رسالتها في مجرى التاريخ ، وبناء الحضارة العالمية ، ومعالي - عزام باشا - شخصية قد أتاحت لها ظروفها أن تساهم في السياسة ، والاجتماع ، وغيرها ، ويفهمها فهمًا جيدًا ، وإدراك تلك التيارات التي كانت تجري في الخفاء ، ولا تستطيع العين البعيدة أن تأخذها ، وقد فرغ من كل تلك الدراسة : والمشاركة في التوجيه ، والإشراف العقلي ، بنتائج لها خطرها وأثرها في الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والروحية وهي أنه لا أمل في نجاة العالم ، ولا مفر له من تلك الأحوال التي يكتبوي بلهيبها ما دام يعتنق تلك المبادئ التي لا يمكن في نظره - ونظر العقل السليم - أن تستأصل الداء ، ولا حيلة في تكرار المأصاة بين حين وآخر ما ظل

العالم تسيطر على روحه تلك المذاهب المادية الملعنة ، ولا ملجأ له إن أراد أن يحيا حياة هائلة متأخية إلا أن يمكن من قلبه تلك المبادئ الخالدة التي حملها الرسول العربي الى العالم ورياضة عقله على تمثلها ، واجتثاث بذور التعصب الاعمى ، والتحامل البغيض حيال تلك الدعوة الملهمة السامية ، وقد جاءت هذه الرسالة التي يقدمها — عزام باشا — دليلاً على مبلغ تمكن ذهن هذا الرجل ، وصفائه ، وإلمامه بدقائق تلك الدعوة ، وخفايا معضلات حياتنا الحاضرة ، ومنطقه البارع في مناقشة ما هو بسبيله ، وتقديم رسالته الجديدة في سبيل رد تلك الاتهام التي تلفقها الاغراض المدخولة ضد الدعوة الاسلامية ، فإنا أحوج الأمة الاسلامية ، وهي محط ألوان كثيرة من المذاهب ، والدعايات أن ينهض من يملكون هذا المنطق ، المزودين بتلك الثقافة أن يبعثوا لهذا الجيل بريثاً من كل شائبة ، كل في ناحيته يتولى علاجها ، فنقيم الحجة للعالم أجمع على أن هذا الدين أكمل رسالة عرفتها البشرية ، وأن رسوله المثل الكامل للانسانية ، وأن أمته خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر .

٣ — يسألونك

للاستاذ عباس محمود العقاد

ملكات ثلاث . تتساند في سبيل إبراز الإنتاج الأدبي : ملكة التفكير : ومجالها التحليل ، والمنطق ، وملكة الخيال ، ورسالتها التصور والتصوير ، وملكة الأداء وتتجلى في الأسلوب ، وقبل أن تتأخى ، وتعاون ، في إنتاج كاتب كما نظر في إنتاج الأستاذ — العقاد — فسلطان الفكر . الحر ، يطالعك في كل ما يقع عليه طرفك : والخيال المصور اللطيف ، تتراءى أطيافه في كل مجال ، وملكة الأداء ، تبرز جليسة ، ناصعة محكمة ، في هذا التسلسل ، المنسجم ، في إحكام ، فلا حشو ، ولا اضطراب ، ولا فضول ، بل هو أسلوب صريح . لا رغبة فيه . وأظهر ما تظهر هذه الملكات الثلاث في هذا الكتاب ، فهو مقالات متممة ، وليدة ظروف متباينة ، ولكن هناك فكرة تربط بينها ، وتجمع بين أطرافها ، هي . أسلوب الدفاع ، وقوة التحليل ، إذ هذه المقالات استجابة لأسئلة أثارها بعض القراء

فتصدى للكتابة عنها ، وقضايا اختلط على كثير من العيون وجه الرأي فيها ، فتولى دراستها ، وفيها تبرز تلك الملمكة على أتمها ، عند - العقاد - فهو لم يتهدأ لفصل في هذه القضايا بملمكة الأدب فقط ، فما أقل غناءها . وحدها في هذا المجال ، بل بمواهب القاضي ، وقريحة الفيلسوف ، وبدهاءة الأدب ، فلا يسمع . إلا أن محمد له تلك اليد التي أزال ما كان يعتلج في نفسه ، وبببل خواطرك ، ويروض ذهنك على هذا الأسلوب الفكري ، المستقيم ، ومعاونته على أن ينفذ إلى الحقائق ، ولا يظل طافياً على السطوح ، وأن يلج إلى البواطن فلا تحتجزه الأسوار ، وعندي أن شيوع هذا النوع من الكتابة تكون له آثاره العميقة في الأفلام الناشئة ، والملكات الوليدة ، فيحول بينها ، وبين لونة الثروة الجوفاء ، ويباعدها عن الولوج بالبريق الخلاب ، تتبين كل هذه الخصائص في كل مقال في هذا الكتاب ، أنظر إلى غط تناوله ، وعلاجه ، لهذه النكسة التي تحمل بعض الناس على الدعوة إلى اتخاذ العامية مراعاة لشعور الفقير لغة نستخدمها في شؤون الفكر ، والأدب . فيرد قائلاً في مقالته العامية والفقير - العامية قبل كل شيء هي لغة الجاهل وليست بلغة الفاقة ، أو اليسار ، وبين الأغنياء كثيرون لا يحسنون الكلام بغير العامية . التي لاجمال لها ، ولا تلاوة ، وبين الفقراء من يحسنون التعبير بالفصحى ، أو يعبرون بالعامية تعبيراً يزينه جاهلها ، وتبدو عليه طلاوتها ، فاذا عطفنا على العامية فإنما نعطف على الجاهل ، ونستبقيه ، ونستزيده ، ولا نخفف وطأة الفقر ، ذرة ، واحدة . بتغليب عبارات الجهالة على العبارات التي تصاغ بها آراء المتعلمين ، والمهذبين .. وماذا يفيد الفقراء أن يسكن الأغنياء الأكواخ ، وماذا يفيد الفقراء أن يتكلم المتعلمون لغة الجاهل ، وماذا يفيد الفقراء أن تساويهم في الحرمان من المال ، والعلم ، ومن الفصاحة ، وقدرة التعبير ، إنما يفيد الفقراء أن تصبح أكوأخهم قصوراً ، أو كالتصور في الراحة ، وتصحيح الأبدان ، وإنما يفيدهم أن يكون نصيبهم من اللغة كأحسن نصيب يتعامله المتعلمون . فإن لم يبلغوا هذا المبلغ فالفائدة ألا يكون نصيبهم منها أحقر نصيب ، وألاً نسجل عليهم هذه الحالة المزرية كأنهم لا يصلحون لغيرها ، ولا يطمحون إلى ما فوقها .

على هذا المنوال ينسج مقالات ، وبحوث هذا الكتاب ، وقد صدره بمقدمة قيمة في

أدب المقالة . أدارها حول نشأة هذا الفن في الأدب العربي ، وامتزاجها بأدب الفصول وأدب المقامة ، وفي الآداب الأوروبية وعرج على تحليلها ، وكل مقالة من هذه المقالات تستقل بفكرتها ، وتمتاز بتركيزها ، حتى لمجد فيها من يتعهدا وينميها ، كتاباً مستقلاً ، ويكاد يكون هذا طابع — العقاد — في كل ما يحاوله من هذا الضرب من المقالات ، ولم يتعد حدود الواقع في إعلانه أنه ينبغي أن تكون المقالة مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للاجمال ، ولا يتسع للتفصيل ، فكل مقالة في موضوع فهي كتاب صغير يشتمل على النواة التي نبتت منها الشجرة لمن شاء الانتظار ، وأوجز ما يقوله الناقد في أمثال هذه الأبحاث ، أنها من قبيل الفلسفة الأدبية ، أقرب منها إلى أي شيء آخر .

محمد عبد الحليم أبو زيد

أعمدة التلغراف

نشر الأستاذ عبدالله المشنوق في مجلة « الأدب » البيروتية قصة بعنوان « البؤس المكتوم » سرق الفكرة الرئيسية فيها من قصة نشرها المقتطف في عدده الصادر في مارس سنة ١٩٢٨ نقلاً عن الروائي المعروف الكسندر غلواكي البولوني بعنوان التلغراف . ونحن ننقل هنا ختام القصة ليكون ذلك حكاية بين المقتطف وحضرة الأديب المشنوق قال المشنوق — « لست أدري لماذا انتقل فكري — ساعتئذ — إلى التلغراف لست أدري ، ولكنني أعلم حق العلم أنني ربطت في ذهني هذا الحادث بما يجري عادة عند ما يرسل إلى أحدنا برقية . فهناك محطة مرسله ترسل النبأ . وهناك أصلاً مركزة على أعمدة تنقل النبأ ، وهناك محطة لا تقطع تتلقى النبأ ، هذا هو التلغراف . المحطة المرسله هنا هي هذا البائس المصدور وأطفاله الخمسة ، والمحطة اللاقطة هي البائس المعلم ، وأما أنا ، وأما صديقي التاجر المعتبر ، وصديقي الصناعي الكبير ، والطبيب المتهري الكبير — أولئك المعتذرون جميعاً — فقد كنا أعمدة التلغراف » .

وقال غلواكي كما نشره المقتطف : « أن وقوع هذه الحادثة في أثناء وجودي معك — وأنت أستاذ لفلسفة الطبيعيات — أخطر بي إلى فكر الخطابة التلغرافية بطريقة جديدة . فالمكتب الرئيسي لهذا التلغراف كان ملجأ اليتامي والمكتب الذي تسلمه كان العامل في مصيعة القبعات . فلما أشار الأول مسترعياً الانتباه لباه الثاني من فوره . وعندما صرح ذلك بحاجته بادر هذا إلى قضائها . أما نحن الباقين فكنا — كنا — أعمدة التلغراف » فليعتذر الأستاذ المشنوق ولكن إلى غلواكي فالمقتطف متنازل عن حقه .

مكتبة المقتطف

ننوه بهذه الآثار الفكرية في هذه العجالة وموعدنا بنقدها قريب

- ١ * اوديب - تيسوس : ترجمة طه حسين عن اندريه جيد : ٣١٠ صفحة من القطع الأوسط : دار الكاتب المصري .
- ٢ * الناطقون بالضاد في أمريكا : نشره بالانكليزية معهد الشئون العربية الأمريكية في نيويورك سنة ١٩٤٦ وترجمه وعلق عليه « البدوي الملمم » : ١٠٠ صفحة من القطع الكبير : المطبعة التجارية بالقاهرة .
- ٣ * الاقطاع والديوان في العراق : تأليف عبد الرزاق الظاهر : ١٦٨ صفحة من القطع الكبير : مطبعة السعادة بالقاهرة : ١٩٤٦ .
- ٤ * ترجمة الامام احمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ . نقل عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي (٧٧٣ - ٧٤٨ هـ) حققه الأستاذ الثبت احمد محمد شاكر : دار المعارف للطباعة والنشر : ٨٤ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٦ .
- ٥ * السلام الاجتماعي : تأليف الأستاذ الحر عبد المجيد نافع المحامي : ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير ، نشرته دار الفكر العربي ، ١٩٤٦ : ومنشور عنه نقداً في العدد التالي من المقتطف .
- ٦ * تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط : تأليف الأستاذ يوسف كرم المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول : ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير : نشرته دار الكاتب المصري : ١٩٤٦ .
- ٧ * أو من بالإنسان : تأليف الأستاذ عبد المنعم خلاف : ٢٥٦ صفحة من القطع الأوسط : نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة : ١٩٤٦ .
- ٨ * تاريخ مصر في عصر البطلمية : جزآن صفحاتهما ٩٣٠ من القطع الأكبر : تأليف الدكتور ابراهيم نصحي أستاذ مساعد التاريخ القديم بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول : نشرته مكتبة النهضة المصرية ، وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ١٩٤٦ .
- ٩ * مدونة جوستينيان في الفقه الروماني : ترجمها عبد العزيز فهمي باشا : ٤١٠ صفحة من القطع الكبير ، دار الكاتب المصري : ١٩٤٦ ، ويلى متن المدونة نظاماً للمواريث وضعه جوستينيان ويليها بعض قواعد وتقريرات فقهية رومانية وبعض تقديرات أخلاقية .
- ١٠ * نبي الاسلام : The Prophet of Islam تأليف السيد محمد علي ، وهي مكتوبة بالانجليزية واقعة في ٤٦ صحيفة من القطع الصغير ، وقد طبعت أربع طبعات متوالية بين ١٩٢٨ و ١٩٣٨ ، وحيداً لو أقدم أحد أبناء العروبة على ترجمتها الى العربية .

فهرس الجزء الاول

من المجلد العاشر بعد المئة

النساطرة في أصيا : اسماعيل مظهر	١
الفكر العربي لا يزال في الأغلال : مسلم حر	١١
الحاكم المختلطة في تاريخ مصر القديم : دكتور باهور لبيب	١٧
العوبة الحرية : حسين المهدي غنام	١٩
الشتاء (قصيدة) : شاعر البراري	٢٨
تحدثني ا : اسماعيل مظهر	٢٩
كتاب من الدكتور طه حسين عن القضية العربية	٣١
الكنوز النفيسة في القمامات الخميسة : عوض جندي	٣٢
تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني : محمد بن فتح الله بدران	٣٥
الكوري والحاررة : عباس مهدي	٤٣
الى النيل (قصيدة) : عفيفي محمود عفيفي	٤٤
صحافتنا تنحدر : م. ا.	٤٥
واجعل خيالك واقعا أو متعنا (قصيدة) : أيوب	٤٨
واجب الشاب العربي : أحمد الشرباصي	٤٩
قصة للتاريخ : شكري شعشاعة باشا	٥٦
كيف نعيش مئة عام : أحمد أبو الخضر منسي	٦٣
دلائل الخيرات : محمد طلحة رزق	٦٧
٢٠٠ ألف دولار — تبرع لبناني لمكتبة الجامعة الأميركية ببيروت	٧٣
مكتبة المتقطف ١ — صحائف مطوية : لمالي أحمد لطفي السيد باشا ٢٠ — الرسالة	٧٤
الخالدة : لسعادة عبد الرحمن عزام باشا ٣٠ — يسألونك : للاستاذ عباس محمود العقاد :	
محمد عبد الحليم أبو زيد . أعمدة التلغراف . لمكتبة المتقطف	

لحق

القسم الثاني من الحق والقوة